

القلب الذائب

الحرية

للنشر والتوزيع

٢٦١٥٦٤٦_٥٧٤٥٦٧٩

٠١٢/٣٨٧٧٩٢١

روايات أحلامي

● روايات أحلامى سلسلة رومانسية

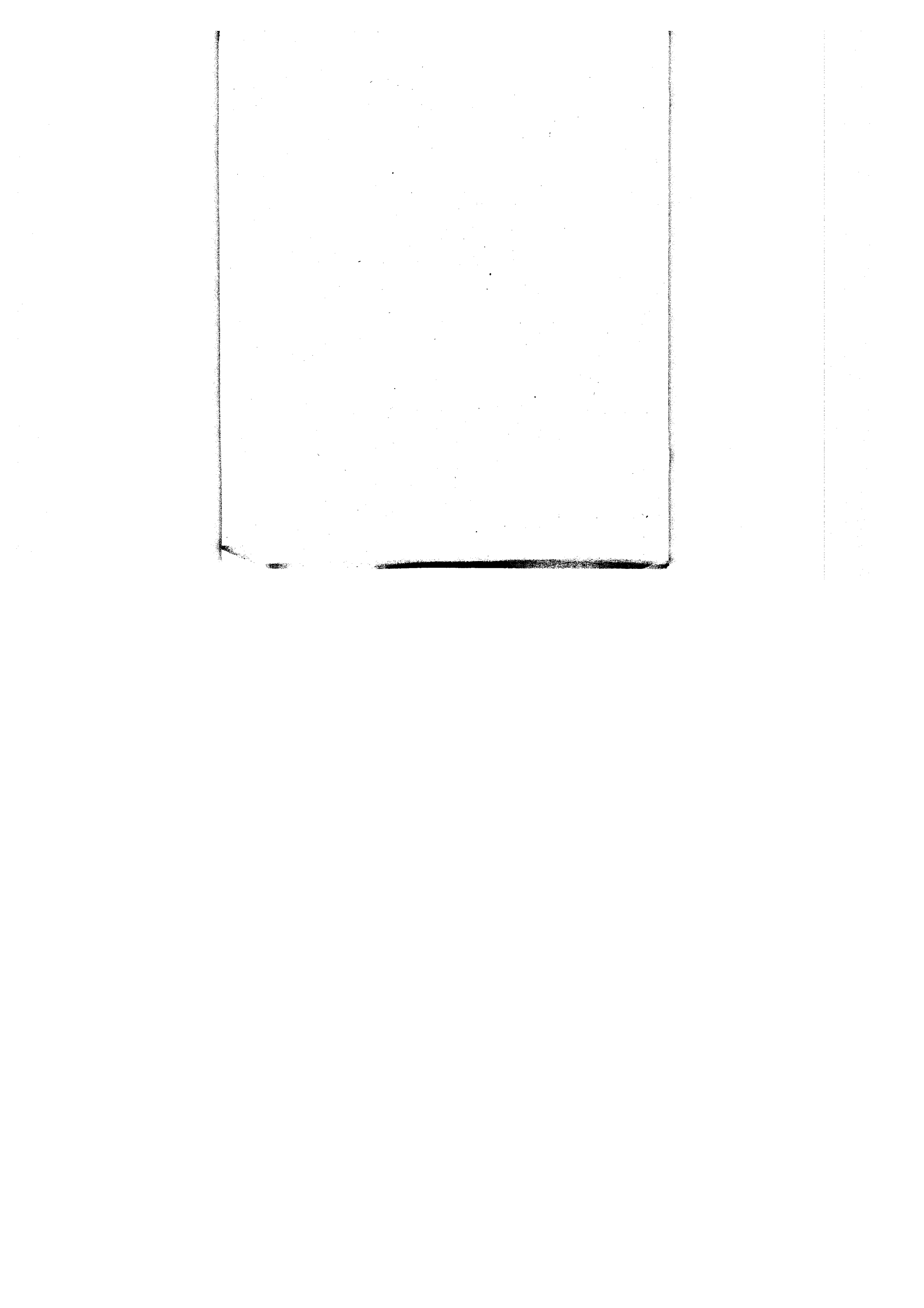
تصدر عن الحرية للنشر والتوزيع

تقـــدم...

«روايـــات أحلامـــى»

نهراً من الحب... الحب الذى يلون الدنيا
بألوان الربيع.. الحب حيث لا خريف أبداً..
الحب حيث الورود والرياحين..
حيث الحيـاة..
وروايات أحلامى... تُسهم بالحكايات عن زمن الحب
والأحبة فى هذا النهر الجارى والرائع «نهر الحب»
فتعالوا لنبحر فى نهر «أحلامى»
على أمواج الرومانسية.





عزيه الريح

ركضت جوانا عبر المرجة باتجاه مدرسة القرية، ولم يكن هناك رصيف للطريق، بل كانت منزلقة بسبب أوراق الشجر المتساقطة المبللة.. مرة أو أكثر كادت تقع بشكل خطير. وألقت نظرة سريعة إلى ساعتها.. إنها الرابعة، ولابد أن الأطفال قد خرجوا من آخر صف لهم عند الرابعة إلا ربع. ولابد أيضاً أن يكونوا قلقين لتأخرها، والآنسة فورستر لا تطيق صبراً كى تقفل أبواب المدرسة.

وأحست بألم فى خاصرتها، فخففت من سرعتها.. سخافة حقاً أن تخاف من معلمة الأطفال، مع عدم إنكارها أنها تخافها، توقع رؤية وجه الآنسة فورستر المتجهم دفعها إلى الركض ثانية.

فجأة ودون توقع، سمعت صوت هدير محرك سيارة خلفها. وتذكرت أن لا أحد يأتى بسيارة على هذه الطريق سوى شاحنة المزرعة، وأحياناً سيارة البريغادير بدفورد.. وقفزت دون وعى نحو القناة. وكان العشب رطباً عليها أن تتشبث بشجرة شوكية كى تمنع نفسها من الانزلاق فوق ما أصبح بفضل مطر الخريف جدولاً صغيراً يندفع بسرعة. وصاحت:

اللعنة!

وتوقفت السيارة ونزل السائق منها، ثم نظر من حوله وتقدم.. وحدقت جوانا به، وقد أحست بالانزعاج من عدم اهتمامه الزائد. من موقعها المزرى على الأرض، بدا لها طويلاً، يرتدى نظارة سوداء، بدت سخيفة وغير ضرورية فى ذلك المساء.. ومن خلف النظارة بدا مقطباً. فى ظروف عادية، مواجهة رجل غريب كانت ستفزعها، ولكن بما أنها مبتلة، وتشعر بالبرد، ومتأخرة، وفوق كل هذا فزعة، وليتوج كل هذا وقف الرجل ينظر إليها دون

عرض المساعدة لها لتقف، وكأنه يضحك عليها، وكأنها جرو متكور إلى جانب الطريق.. فكافحت بشراسة لتقف.. فقلب شفته وقال:

أظن أنك بخير؟ لا أرى دماً أو طرفاً مكسوراً.

ولا فضل لك فى هذا! حسناً.. ساعدنى لأقف.

فتجاهل يدها الممدودة، وانحنى ليلف ذراعه حولها ويوقفها على قدميها.. ثم يضعها فوق الطريق، وبقى ممسكاً بها وكأنه يظن أنها ستقع ثانية، ثم بدأ ينفض عنها الأوساخ. فصرّت جوانا على أسنانها وقالت بغضب:

شكراً لك.

لا داعى للشكر. كنت موحلة. هل تحبين الوحل؟

الأفضل أن ترشها على سيارة مسرعة..

ونظرت إلى سيارته، لتجدها من النوع الرياضى المنخفض الذى كان يفضله شقيقها، ولاحظت بسرور أنها

مليئة بالوحل.

ترش عليك الوحل.؟ وهل ظننت أننى قد أصدمك؟ أهذا هو سبب غطسك فى الوحل هكذا؟ فهمت.. أنا آسف.

وردت عليه بأدب مبالغ فيه:

أنت لطيف جداً.

فضحك، وأضاف:

أوه.. يا إلهى.! أنا حقاً آسف.. ولكن لم تكونى بحاجة للقذف هكذا عن طريقى.. فالسيارة يمكن إيقافها بلحظة، وأنا لم أكن مسرعاً.

السرعة نسبية. فمعظم السير عندنا هنا يكون على أربعة أرجل.

حسناً.. لقد كنت مسرعاً حسب المقاييس المحلية.. ولكننى كنت أبعد عنك ميلاً.

لم أشعر هكذا. كان لدى انطباع أنك قد لاحقتنى.

أنا آسف.

وأخذ ينظر إليها وكأنها شيء لم يشاهد مثله من قبل، ووجده مثيراً للاهتمام.

لا يبدو عليك الأسف.

وقال بحذر:

أعني.. أنني آسف.. لأنك متوترة الأعصاب هكذا.

وبلغت قمة الغضب، فجذبت ذراعها من يده.

كيف تجرؤ على هذا القول؟

وأخذ يهتز من الضحك.

اسـمـحي لي أن أوصلك إلى حـيث أنت ذاهبـة، وسنتناقش بالأمر.

لن أفعل.

يبدو أنك غير متمدنة.

لا.. ولقد تأخرت.

ونظرت إلى ساعتها فوجدتها ملطخة باللون الأخضر، وبدت العقارب تحتها تشير إلى عشر دقائق بعد الرابعة.

إعذرنى.. يجب أن أذهب.. على أخذ الأولاد من المدرسة.

واستدارات لتذهب فأحست ثانية بالألم فى خاصرتها، فتأوهت، وأمسك بكوعها بسرعة وقال مقطباً:

هل أصبت بأذى؟

لا شىء.. حتى أنك لا ذنب لك به. كنت أركض وأحسست بألم.

فضحك:

حسناً.. هذا صدق كافٍ منك. ومع ذلك لا أستطيع تركك تسيرين فى هذا الطريق الموحل. سأوصلك إلى المدرسة.

ولكنها ليست بعيدة.

فسار إلى السيارة وفتح لها الباب.

اصعدى.

حسناً.. إنها فى آخر الطريق أمامنا إلى اليسار، نصف ميل بعد.

وكان الأولاد بانتظارها.. ولا أثر للآنسة فورستر.

وقالت للرجل.. وعينها على مونيكا.

هنا.. أرجوك.

هل هذه الطفلة لك؟

أجل أنها واحدة اثنين.

ولاحظت مونيكا أن السيارة تبطئ قرب المدرسة، ونزلت منها جوانا، فبدأت تحاول تسلق الجدار المنخفض لتخرج من المدرسة إليها.. ووقعت حقيبتها منها.. فتجاهلتها صائحة وهى تركض نحو السيارة:

أبى!

وجمدت جوانا.. لماذا لم تفكر بما سيفعله منظر

السيارة بالأولاد؟ألم يتبادر إلى ذهنها أنها تشبه سيارة ريتشارد؟ وأحست بالفزع وهى تراقب المشهد.

منقذها، وهو ينزل من السيارة، بعد أن صرخت مونيكا، استدار بسراعة وصفق الباب وراءه وتلقى الفتاة بين يديه، واستدار بها وهو يرفعها فى الهواء ضاحكاً. وقال برقة:

أخشى أن تكونى مخطئة. ولكن والدك محظوظ. هل الآباء وحدهم من يتلقون التحية؟ ألا تستاهل الأم واحدة؟

هذه ليست أمى.. أنها جوانا فقط.

أوه..

وتدخلت جوانا:

مونيكا ابنة أخى. وهى تعيش معى مع شقيقها الذى يلعب هناك.

فهمت.. حسناً يبدوان بحجم معقول، ويمكن أن نضعهما فى المقعد الخلفى وأوصلكم إلى المنزل.

وقاومت جوانا كبرياءها.. ستكون نعمة لها أن لا تضطر إلى السير أكثر من ميل ونصف لتصل إلى المنزل والطفلين يجرجران أذيالهما خلفهما.

ومع ذلك فقد كانت الكبرياء ستفوز لولا ظهور الآنسة فورستر فى تلك اللحظة.

مدرسة القرية فيها صفان يؤويان حوالى الثلاثين طفلاً، الصغار تعلمهم معلمة عجوز عمرها من عمر المدرسة تقريباً. والكبار، ومن بينهم مونيكا وبوب، هم فى صف الآنسة فورستر، وكانت شابة صغيرة رياضية، شعرها أشقر قصير وترتدى النظارات، وكانت لها نظرة مخيفة لا يجرؤ حتى بوب على عدم إطاعتها.. وقالت (الدراغون) الصغيرة وهى تقفل باب المدرسة الخارجى!

آه.. آنسة راينهات.. هل أخرك شىء عن القدوم؟

ودون أن ترفع صوتها أو تلتفت قالت:

نحن.. لا نسير فوق الحائط دايفيد.

وتخلى بوب عن لعبه وتقدم ليقف إلى جانب جوانا..

التى قالت:

لقد تأخرت فى عملى.. ثم وقعت على المرجة.. وهذا السيد ساعدنى وأوصلنى لما تبقى من الطريق.

وأدارت الآنسة فورستر نظارتها إليه، ولدهشة جوانا ابتسمت له، وبدت تماماً مثلها مثل البشر، وتجاهلت الآخرين وهى تسأله ما إذا كان قد أضاع طريقه ودخل القرية عن طريق الخطأ. ثم التفتت إلى جوانا لتسألها:

هل أصبت بأذى؟

لا أظن..

آسفة لما حدث لك. وبالطبع.. لم تكن غلطتك.. ولكنك قلت أنك تركت عملك متأخرة. وهذه المرة الثالثة هذا الأسبوع، يا آنسة. ولن أستطيع حقاً إبقاء الأولاد كل هذه المدة. وعليك أن تحاولى الوصول فى الوقت المحدد.

أجل آنسة فورستر.

لا أضمن أن أكون حرة للبقاء معهما كل يوم.

لا.. آنسة فورستر.

وتدخل الرجل:

هذا صحيح.. ونحن قد أخذنا ما يكفى من وقتك منذ وصلنا

وتجاهل نظرة جوانا المعترضة وتابع:

فليحضر الأولاد حقيبتيهما، ولن نؤخر الآنسة فورستر أكثر.

وبدت الآنسة فورستر مذهولة، فهى بالتأكيد لم تعنى هذا. ونظرت جوانا بارتباك من أحدهما إلى الآخر. ولاحظت أن الآنسة فورستر كانت أكثر من مستعدة لمتابعة الحديث مع الرجل الغريب.. مهما استغرق ذلك من وقت، ولكنه أشغل نفسه بوضع الأولاد فى المقعد الخلفى للسيارة، وانحنى لها مودعاً، ولحقت به جوانا. وقالت بعد أن غابت المدرسة عن أنظارهم:

واو.. إنها ضابطة نظام فظيعة..

والتفت إلى جوانا:

هل علمتك فى الماضى؟

مَن؟ أفريل فورستر؟ يا إلهى إنها أصغر منى سناً.

لا يمكن لأحد أن يعرف هذا.

وأحسست بالتوتر، فقد ارتابت فى إنه يوجه لها إهانة:

أوه..؟ ولماذا؟

هكذا.. مجرد انطباع.. قولى لى. أين سآخذك؟

أين أنت ذاهب؟

إلى عزبة (الرياح).. إذا استطعت أن أجدها.

أوه!

المنزل المذكور، كان فارغاً لأكثر من سنة منذ وفاة آخر مالك له.. والقرية مليئة بالإشاعات أن الورثة يقنعون مديرية الآثار الوطنية لشرائه. فهو منزل مبنى فى عصر من العصور الوسطى، صغير، ولكن جميل.. حتى وقت متأخر. فبعد موت السيدة أندرهيل العجوز، أصبح

مـهـجـوراً.. ولطالما هز سكان القرية رؤسـهم أسـفـاً على الأراضى الزراعية المحيطة به، والتى أصبحت بالتدريج جرداء.. وهناك ريبة فى وضع المنزل نفسـه، ومن المتفق عليـه أن السـيـدة أندرهيل قـد أهملتـه خـلال سنواتهـا الأخيرة، وإنه سيكلف كميات ضخمة من المال ليستعيد أهليتـه للسكن.. وإذا لم يصلح عاجـلاً.. فلن يعود هناك أمل فيـه سوى أن يهدم.. وفى نظر البعض ستكون هذه مأساة.

وهل تعرفين العزبة؟

فابتسمت جوانا بأسف، وهى من قضت طفولتهـا تلعب فى حدائقه.

أجل.. أعرفـه.. إنه قرب البحر.. وأظن من الصعب عليك أن تجده بسـهولة. هناك بوابة خلفيـة له، تفتح إلى باحة الكنيسة كنت استـخدمـهـا بنفسى منذ زمن بعيد. ولكن له طريق خاصة تصل إلى المنزل عبر الغابة التابعة له، عليك أن تتجه فى تلك الطريق بعد ميلين من القرية.

بعيد بهذا القدر؟ ولكننى ظننت المنزل فى القرية؟

أجل.. والقرويون كلهم يدخلون إليه عبر باحة الكنيسة، أو من على طريق البحر. ولا يمكن الوصول بالسيارة عن كلا الطريقين.

ولكنك قلت ميلين، وغابة المنزل.. هل كل هذه الأرض تابعة له؟

كانت كذلك.. وأظن البريغادير بدفورد قد اشتراها من السيدة أندرهيل منذ سنوات، ولكن لا يزال هناك حق المرور إلى المنزل قائماً. مع أننى لست أدرى فى أى حالة هى الطريق الآن.

لن تكون أسوأ من طرقكم المحلية. وعلى أن أخاطر.

وقالت مونيكا من المقعد الخلفى:

كانوا يقطعون بعض الأشجار من الغابة فى عطلة الأسبوع الماضى كنت أنا ويونتى هناك نتمشى وقال لنا السيد أدامز أننا لا نستطيع البقاء لأنهم سيسقطون الشجرة الكبيرة قرب البوابة.

ورد عليها بوب:

لم يكن ذلك لتنظيف الطريق يا غـبـيـة.. بل لأن الشجرة مريضة ولا يريدون لمرضها أن ينتشر.. هذا صحيح.. أليس كذلك يا جوانا؟

ولأن جوانا تعمل فى مكتب بدفورد العقارى، فقد اعتقد الأولاد أن عليها معرفة كل شىء عنه وعن أرضه. ومع أنها ولدت وكبرت فى القرية، فإن الأولاد، الجدد فيها منذ سنة، يعرفان أكثر منها، حول الأرض ومواسمها، والأماكن المحلية الخاصة والناس بالطبع. وكانت تحس أحياناً أنها تعيش مع اثنين من أكبر ناقلى الإشاعات فى القرية. وردت عليه:

لست أدرى.. وأنت تعرفى يا مونيكا أننى لا أحب أن تأخذى بونتى لنزهة لوحدك.

وبونتى هو كلب من فصيلة الذئب الألمانى، وهو ملك لأرثر بدفورد.. وعلى الرغم من محبتها للحيوانات، فقد كانت تخاف بونتى ولا تخرج معه سوى برفقة جوانا كى

تدفعها للقبول بتربية كلب فى منزلهما الريفى.

وقال الرجل:

وما خطب الأشجار؟ هل هو مرض (الحافور) الألمانى؟

فتنهدت جوانا:

أعتقد هذا.. لقد حدث بعض التحطيم فى الشجر وسقوطه فى التلال.. ولكن البريغادير بدفورد كان يأمل أن لا يصل المرض إلى هنا.

ومن هو البريغادير بدفورد؟ هل هو الحاكم المحلى؟

يمكنك دعوته هكذا.

ووصل إلى نهاية الطريق، فتوقف:

إلى أين الآن؟

استدر إلى اليمين، ثم بخط مستقيم عبر الوادى.. وسأكون شاكرة لو أنزلتنا قرب الدكان.. ثم تابع سيرك وتجاوز محطة الأوتوبيس، ثم قصر (الأمير).

شكراً لك.. وهل لهذه الطريق لوحة؟

لست واثقة.. أتتذكرين يا مونيكا؟

لست واثقة.

أخشى أن لا نكون مفيدين لك. فأنا عادة لا ألاحظ ما هو موجود حولي.. كل ما أذكره أن الطريق مظلم، يظلله شجر الغار والورود المتسلقة، أو ماشابهها.. أوه، وهناك بوابة حديدية مزدوجة.

مقفلة؟

بالطبع لا. لم تكن مقفلة أبداً كما أذكر.

إذن لابد أنها مغطاة بالأعشاب ولا يمكن تمييزها. أمر محبط.. وكأنه قصر الأميرة النائمة المهجور.. وهل هذا المدخل إلى اليمين أو اليسار؟

إلى اليسار.. باتجاه البحر. والمنزل قرب الشاطئ.. ولهذا سميت العزبة (بالرياح).

أنا مسرور لأنك ذكرت هذا!

ولماذا؟

لأننى ظننت الاسم قد أتى من خرافات الغيلان.

آه.. هذه هى الدكان.. أيمكن أن تقف هنا.

وتوقف أمام الدكان على حافة الطريق.. فقالت:

لا لزوم للتوقف، تابع سيرك بعد أن ننزل.

ولكن هناك لزوم إذا كنت أريد أن آكل الليلة، هذا إذا لم أذكر صباح الغد.. أم أنهم سيرفضون خدمتى لأننى أوصلتك.

لا تقول هذا.. لم يبدر إلى ذهنى أنك قد تريد الشراء.

ولماذا لا؟ هل ظننت أننى سأعيش عل بيض البوم ودماء السعادين، لمجرد أننى سأقيم فى منزل الغول؟

لم أفكر بهذا مطلقاً. أنت لم تقل أنك ستقيم هناك.

حسناً.. سأقيم هناك، ومع أننى لا أريد استعجالك ولكن يبدو أن الدكان ستقفل.. ألا يجدر أن نطلب ما نريد

قبل أن يقفلوا الأبواب؟

أوه أجل، بالطبع.

وسارعت على الفور إلى دخول الدكان وطلبت الخبز ومربى التوت. وتبعها الأولاد مع الغريب، الذى نظر من حوله بينما هى تطلب مشترياتها.

وقالت جوانا للسيدة هوب صاحبة المحل:

ربما تفضلين خدمة هذا السيد أولاً.

حسناً، بالطبع. فأنت لست مستعجلة يا عزيزتى.

واشترى الغريب كمية سخية، بما فيها البطاطا "التشبس" التى جعلت عيون الطفلين تتسعان إعجاباً. كذلك اشترى علبة كبيرة من القهوة السريعة التحضير، والتى تحتفظ السيدة هوب بمثلها للسيدة بدفورد، وسألته وهو يضع مشترياته فى علبة كرتون كبيرة:

وهل تظن أنك ستبقى هناك طويلاً؟

فنظر إلى علبة القهوة الكبيرة فى يده وابتسم:

في العادة أنا أتناول القهوة بكثرة.

وأخفت جوانا ابتسامة.. ومع أنها كانت لا تزال تهدئ من نفسها من مواجهتهما، إلا أنها لم تكن لتنكر أنه كان يتعامل مع السيدة هوب بتفوق. فقد كان يصد كل سؤال تطرحه، ولكن بأدب حتى أنها لم تلاحظ أنه يصدها. وبعد عشر دقائق من الأخذ والرد لم تكن قد تعرفت بعد على اسمه. وأعجبت جوانا بطريقة تعامله معها وهي التي طالما عانت من حشريتها وثرثرتها، وعندما قدمت له الفاتورة، أخرج دفتر الشيكات من جيبه فأوقع دفتراً صغيراً التقطته مونيكا وقالت:

هذا جواز سفرك.. يجب أن لا تضيعه، وإلا لن تتمكن من العودة إلى بلدك. أبي عنده واحد، وكذلك أنا وبوب.

شكراً لك.

وأخذ منها الجواز وأرجعه إلى جيبه. وأقلق قلة اهتمامه مونيكا فقالت بغيظ:

لا يجب أن تضيعه.

لن أفعل.

ولم يقدم الرجل أى شرح لماذا يتجول فى كندا وجواز سفره فى جيبه.. والتقت عينا السيدة هوب بعينى جوانا بتعجب. فأدارت جوانا وجهها.. السيدة هوب سيئة الظن، كأهل القرية تماماً.

وأعادت نظرها إليه، له وجه متحفظ غريب، ووجنتان مرتفعتان، وفم ممتلئ، ويرتدى نظارات سوداء.. ولاحظت أن النظارة السوداء تراقبها باهتمام.. وبدون منطق، وجدت أن نظرته هذه فيها شيء من الفظاظة. وعن قصد، رفعت حاجبيها وردت له نظرته المتفحصة. فالتوت زاوية من فمه وكأنه يوشك على الابتسام. وقال لها بمرح:

حسناً.. يبدو أننى اشتريت كل ما أحتاجه الآن.. شكراً لك لإرشادى على الطريق.. الوداع.

وراقبه الولدان وهو يضع صندوق مشترياته فى السيارة. فنظرته إلى أولويات تموين الطعام بدت لهما

مختلفة عن نظرة عمتهما. وشاركتهما السيدة هوب النظر إلى رحيله، وقالت متفلسفة:

أعتقد أننا سنراه كثيراً.. هذا إذا قرر السكن فى العزبة.

آخر كلماتها بدت كسؤال بشكل واضح. فقالت جوانا بحده، إنها لا تعلم أى شىء عن خططه، وقطعاً لأى سؤال قادم، وقطعاً لأى سؤال قادم، أضافت أنها لا تعرف من هو، وقالت للطفلين:

هيا بنا، فالسيدة هوب ترغب فى إقفال الدكان، ولقد حان الوقت لتناول الشاى، وإلا فلن تتمكنا من كتابة فروضكما المدرسية.

فى الطريق إلى المنزل التفتت جوانا للصغيرة مونيكا:

هل أنت تعبة؟

لا.. هل يمكننا الذهاب لرؤية عمنا آرثر؟

أنت تعنى هل بإمكاننا الذهاب لرؤية "بونتى"..
حسناً، اعتقد هذا، ولكن ليس لوقت طويل. فالعم آرثر سيكون مشغولاً، وكلاكما لديكما فروض مدرسية لتنهياها هذا المساء.

وبدأ الطفلان يركضان نحو قصر الأمير. إنه فندق يقع عند طرف القرية ويبدو ككوخ ريفى عتيق، وهو ملك لآرثر بدفورد ابن أخ مخدومها، واشتراه منذ خمس سنوات عندما كان مجرد حانة قروية بسيطة، ونجح فى أن يجعله أفضل مطعم فى المنطقة، يعمل فيه أشهر الطباخين وأجمل الساقيات..

وعلى العموم، فالرأى السائد أنه أنفق مبلغاً لا بأس به على إصلاح هذا المكان العتيق. وهذا أمر تعرفه جوانا جيداً، فقد عملت له أعمالاً مكتبية فى تلك الأثناء. ومع ذلك فقد كان عليه أحياناً استدانة مبالغ من المال من عمه كى يعبر بعض الأزمات المارة. وتعلم جوانا، بما أن موسم الصيف قد انتهى الآن وموسم الميلاد لم يبدأ بعد،

أن أزمة جديدة تلوح فى الأفق، وتعلم كذلك أن البريغادير بدفورد سيكون صعب الإقناع لمديد المساعدة هذه المرة.. وحاولت جوانا أن تلمح بهذا للشاب، الذى تحب عمه، وتحمل حباً خاصاً به شخصياً.

ودخلوا إلى غرفة الجلوس.. وكان آرثر، الذى يحب أن تكون مدفئة الحطب مشتعلة عند دخول أول زبون إلى المطعم، يشعل الحطب. ولطالما افتتن الأولاد بعملية الإشعال والنفخ فى الحطب وأرادوا أن يشاركوا فيها. فوافق آرثر، وسرعان ما تعالى اللهيب مزمجراً يطقطق الحطب ويملئ المدفئة ثم يهدأ بعد أن أخذ طريقه عبر المدخنة.. ووقفت جوانا تراقب لمشهد وهى تبتسم.

وتدخلت قائلة للطفلين:

عمكم آرثر لا يريد إشعال مدخنته ولا حرق منزله، هذا يكفى.

فاستدارت مونيكا إلى آرثر، فقال لهما:

حسناً النار مشتعلة بشكل رائع الآن، ولا نريد أن

نزيدها اشتعالاً، لماذا لا تخرجا وتلعبا مع بونتى؟

وصاحا ابتهاجاً وخرجا راكضان. فقال آرثر بارتياح:

واو.. تلك الفتاة سيكون لها شأن، لها إرادة قوية.

إنها حساسة جداً عندما تفسر لها الأمور بشكل مناسب.. وليس من الصواب الاستجابة لها كل مرة. فبتلك الطريقة لن تكتشف أن هناك بعض الأشياء لا يمكنها الحصول عليها، وأشياء أخرى من الخطر أن تفعلها.

قد يكون ذلك خطأ، ولكن الآن هكذا أسهل. ولست أدرى كيف تتمكنين من السيطرة عليها.. فهى لا تقبل بالرفض أبداً. أنت تبدين تعبة، هل يتعبك هذان الطفلان؟

فضحكت:

لا.. ليس فى الواقع. لقد أحسست بالتعب منذ استيقظت. وتأخرت فى العمل وفى المصرف وفى طريقى إلى المدرسة. ووقعت فى القناة إنه يوم سيئ على.

يا حبى المسكين.. أنت أصلاً لست بارعة فى المحافظة على المواعيد. لقد أمضيت ساعات كثيرة فى انتظارك عند سفح التلة لتوصيلك إلى البلدة أكثر مما انتظرت النساء الآخريات مجتمعات.

فكشرت جوانا بوجهها:

كان هذا منذ خمسة عشر سنة.

ولكنك لم تتغيرى.. هل هناك سبب خاص لتعبك اليوم.

وأخذت جوانا منه فنجان القهوة، مع علمها بأنها يجب أن تكون الآن فى طريقها إلى المنزل. ولكنها لم تكن ترغب فى خسارة هذه اللحظة الثمينة مع آرثر. وإضافة إلى رغبتها فى إقناعه بأنها لم تعد تلك الفتاة الصغيرة المتسخة الأصابع بالحبر والتى يتذكرها جيداً، فهى كانت تحس، وبشىء من الانتقاد الذاتى، إنها لم تصل إلى درجة الأناقة التى يتطلبها آرثر فى محبوباته. لذا كانت تشعر بالامتنان لأن تبقى مثل هذه المشاعر سرية فى

نفسها. فأجابته:

لقد كان فكرى مشغولاً بأشياء.. لقد وصلتنى رسالة من ريتشارد.

ريتشارد؟ أتعنين أخيك؟ كنت أظن أنه لا يزال فى المستشفى.

هل سيخرجونه منها؟

لا.. وأنا قلقة لهذا. فهو يعتقد أنهم لن يسمحوا له بالخروج أبداً.

لماذا؟

لقد مضى عليه هناك سنة الآن، منذ السيول التى قتلت لودى.

أذكر هذا.. لقد حدث فى أوستراليا.. وعندها استلمت الأطفال.

أجل.. يومها أصيب بنوع من الحمى.. بدت كالملاريا، ولكنهم قالوا أنها حمى من النوع النادر وأن

عليه الدخول إلى مستشفى خاص للعلاج.. وهو فى تلك المستشفى منذ زمن الآن، ولابد أن الشركة التى كان يعمل بها تدفع مصاريفه، وهى التى ترسل إلى مصاريف الطفلين، كل شهر.. ولهذا لم يكتب لى خلال سنة سوى ثلاثة مرات.. فى الميلاد.. وعيد الطفلين.. والآن هذه الرسالة المطولة، يذكرنى فيها كم أن الطفلين بحاجة إلى أب.. وأننى لست مسؤولة كفاية لأن يبقوا معى إلا على أساس مؤقت. وأخشى أن يكون يفكر بإرسالهما إلى أهل زوجته.

ولكن هذا ليس بالأمر السيئ. وبإمكانهما هناك الذهاب إلى مدرسة محترمة، بدل هذه المدرسة التى لا تنفع هنا.. ويتركك هذا حرة لأن تعيشى حياتك كما يحلو لك.

ولكنهما حياتى.

إذن فهذا خطأ.

لا تكن سخيفاً. أنت تعرف ما أقصده. إنهما جزء من حياتى.. وسيبقيان كذلك حتى ولو ذهبا إلى مونتريال للسكن مع جديهما؟

إنسى الأمر.. مثل هذه الأمور تأخذ وقتاً طويلاً لتترتب. وهو لم يقل لك فعلاً إنه يريد إرسالهما إلى هناك.. أليس كذلك؟

لا.

إذن وفرى عليك الحزن حتى يفعل.

وفتح باب الغرفة، فاستدار لتبدو على وجهه نظرة نصفها غبى ونصفها إحساس غريب. فقال:

جوانا.. لا أظن أنك تعرفى سامنثا.. إنها تعمل هنا مع الطباخ الجديد.

فغاص قلب جوانا لجمال وجه وبسمة الفتاة.. التى كانت مؤدبة جداً ووضعت يدها على ذراع أرثر:

هناك رجل فى الخارج يريد أن يعرف متى تقدم العشاء. من الواضح أنه قد انتقل إلى هنا حديثاً ولا مطبخ فى منزله، ولا يريد أن يتأخر فى العشاء لأن لديه بعض الأعمال. وقلت له أننا نستطيع خدمته متى يشاء أهناك مانع؟ إنه رائع.

هل هو هكذا فعلاً؟

وقالت جوانا:

أظن أننى أعـرف الرجل، فى الواقع إنه الشـخص الذى دفعنى للوقوع فى القناة يا أرثر، يبدو أنه سيسكن فى العزبة القديمة. وهـو لا يحبها جداً، من نوع الأسماء التى دعاها بها. مع أن هذا مخجل، فهى منزل جميل.. لكنه لا يبدو من النوع الذى قد يعجبه..

وقالت سامنثا محتجة:

إنه جذاب جداً آرثر.. وأنا واثقة أنه سيعجبك.

حسناً.. إذا كان سيصبح زبوناً عندنا، فعلى أن أعجب به. أليس كذلك؟ فالله يعلم أننا بحاجة لأمثاله.

وقالت جوانا دون أن تفكر:

جذاب؟ بالتأكيد لا.

وفتح الباب خلفها.. وبما إنه لم يحن موعد فتح المطعم بعد، فلم تعره جوانا اهتماماً، فلابد أن من فتحه

هم الأولاد أو الطباخ الجديد أو الساقى. فتابعت:

لقد ظننت إنه قذر خسيس.

فقال لها آرثر:

لا يمكنك الحكم على الناس بمظاهرهم.

فقالت بحزم:

حسناً.. لم يعجبنى تعبير وجهه، حتى إنه لم يظهر أى تعاطف معى عندما وقعت فى القناة.. وبدا لى.. قاسياً.

ومن خلفها سمعت سعالاً غاضباً مقصوداً. وقال الغريب بتواضع ولكن بخبث ظاهر وعيناه على جوانا:

أرجو أن تعذرونى لدخولى هكذا، ولكن الجو بارد فى الخارج. لقد كنت مسافراً لفترة طويلة.. ونسيت كم هى هذه المناطق من كندا باردة.

وللحظة غاضبة، أعادت له نظراته الساخرة.. ثم استدارت على عقبيها.. وخرجت مسرعة.

سهره تنكريه

لم تشـاهد جـوانا الغـريب فى عـزبة (الريح) فى الأسابيع التى تلت. فقد كان البريغادير بدفورد يحاول الحصول على قرض لشراء بعض الآلات الزراعية.. وهكذا بقيت مشغولة فى المكتب العقارى الذى يملكه طوال الوقت. حتى أنها لم يكن لديها الوقت للاستماع إلى ثرثرة السيدة هوب عندما تقف عندها لتشترى الخضار. فقد كانت القرية تهمهم بفضول حول بضع وقائع تثبت أن المنزل القديم يتساقط. إضافة إلى الكثير من المعلومات والتوقعات الأخرى المثيرة.

وعلمت جوانا، إنه قريب بعيد للسيدة أندرهيل.. وقالت السيدة هوب:

مع أن هوب يعتقد إنه جاسوس. على أساس نظارته السوداء. وحمله لجواز سفره معه.

جاسوس؟ أتعتقدى إنه أحد جواسيسنا؟ أو جاسوس أجنبى؟

ما أسخفك يا جوانا! أنت لست أفضل من هوب بأفكاره السخيفة. لابد أن الأفلام على التليفزيون أثرت بكما.. ما الذى يفعله جاسوس هنا.. أسألك؟

وفكرت جوانا بالأمر:

لا يجب أن يفعل شيئاً فى الوقت الحاضر. ربما يؤسس لنفسه مركزاً هنا، وعندما نعتاد عليه.. سيأتى بعض السياسيين الكبار أو العلماء للسكن هنا، ثم يعود إلى عمله.. يتابع تجسسه دون أن يدرى به أحد.

يتابع عمله! سيد مهذب لطيف مثله؟

أوه.. يجب أن يكون سيداً مهذباً ولطيفاً، وإلا لن يستطيع كسب إعجابنا. ولكننى واثقة إنه هنا لهذا السبب. أو ربما هو من وزارة الداخلية، ولابد أنهم

سمعوا أن البريغادير بدفورد قد شاهد أسماك قرش غريبة فى الجوار.

يجب أن تخجلى من نفسك جوانا.. لماذا تؤلفين مثل هذه القصص عن الناس المحترمين؟ وليس لديك برهان على صحة ما تقولين. لقد آن لك أن تكبرى. لست أدرى ما سيفعله هذان الطفلان معك.

لا يبدوان لى ممانعان.

أستطيع قول هذا. أنت قاسية بطبيعتك.. وهذا الأمر كان دائماً صفة عائلتك.. ليس منهم واحد مات ميتة طبيعية كما أذكر!

أتتوقعى منى أن أحبسهما فى المنزل لمجرد أن جوى كسر رقبته فى الصيد.

ووالدك، ليرحمه الله.

والدى توفى فى حادث سيارة.

آه.. لقد كان يقود سيارته بسرعة مجنونة.. ومن

حسن الحظ إنه لم يقتل أحداً معه. كان معتاداً على القيادة بسرعة وأنت إلى جانبه وريتشارد على ركبته، حتى يكاد الدم ينشف فى عروقى.

حسناً.. ليس فى سيارتى سعة كى يجلس أحدهما على ركبتى فيها.

هكذا أفضل.

وأعطتها السيدة هوب باقى نقودها ببطء، ثم اتجهت إلى الباب.. وأزيحت الستارة التى تخبئ باب غرفة الجلوس خلف الدكان وخرج السيد هوب، يفرك عيناه من قيلولة بعد الظهر. فصاحت زوجته:

ها هو هوب!.. جوانا توافقك الرأى حول السيد تورنيول.

فقالت جوانا متساءلة:

تورنيول؟

أجل هذا اسمه برايان تورنيول. لقد قلت لهوب لو إنه

جاسوس.. وهذا أمر لا أصدقه أبداً.. فلابد أن جهة ما تدفع فواتيره.

أوه.. هذا صحيح.. فلديهم سمعتهم ليحافظوا عليها. على العودة الآن إلى العمل وإلا فلن أتمكن من أخذ الأولاد في الموعد المحدد من المدرسة. وداعاً الآن.

وخرجت مسرعة فقالت السيدة هوب معلقة:

المسكينة ليس لديها وقت لنفسها، عملها والعناية بالطفلين..

ولم يكن آل هوب وحدهم من يفكر بالقادم الجديد، هكذا عرفت جوانا لدى عودتها إلى المكتب العقارى. فقد اكتشتف أن السيدة بدفورد.. بوقارها وحشمتها، قد وضعته تحت البحث.. حتى أن زوجها قال لها:

أتجمعين ملفاً عن الرجل؟

ووجدت جوانا البريغادير بدفورد يجلس فى المكتب الملحق بمنزلة قرب النافذة.. فقال لها بعد أن حياها:

إيزابيل تريدك.. لبعض عمل الخير. ومن الأفضل ترك طبع تلك الرسائل إلى الغد.. إنها في غرفة الجلوس، ولديها مشروع يتعلق بعزبة (الريح).. والله يعلم ماذا تنوى.. كانت تتكلم عن حفلة راقصة.. هه.. حفلة راقصة!

بالضبط.. والله أعلم كيف ستتدبر الأمر. أعنى، أن المرء لا يستطيع اقتحام منزل غريب كامل ليطلب منه إقامة حفلة راقصة فى منزله.

بل هذا ممكن إذا كان ذلك لفعل الخير.

فعل الخير! إنهن عصبة من النساء دون شىء يشغلهن يحشرن أنوفهن بما لا يعنينهن.. وسيكون جيداً لهن لو أن الشاب طردهن.. هل تعتقدين إنه قد يفعل؟

وتنهدت جوانا، إنها تفهم تماماً لماذا يأمل بأن يرفض تورينول هذا.. ثم قالت مفكرة:

لا أعرف الكثير عنه.. لقد التقيته مرة.. ويبدو.. كثير الثقة بنفسه.. ولا أعتقد أن بإمكان السيدة بدفورد إقناعه بحفلة راقصة إذا لم يكن يرغب فيها. ومن ناحية أخرى

قد يظن إنها فكرة جيدة أن يفتح منزله ليعرف الناس به.. لست أدرى.

ولكن السيد تورينول حتى الآن رفض العديد من دعوات السيدة بدفورد لتناول الشراب، أو العشاء، أو حتى شرب الشاى، وكان يعتذر بلباقة لانشغاله بأمر هام. وقالت السيدة بدفورد تشكوا الأمر لجوانا:

على الأقل يقول إنه مشغول.. ولكننى أظن إنه يتجنبنى.

أوه بالتأكيد لا.. فهو لم يمض عليه زمن هنا.. ليكتشف أننى دائماً أكون أسعى وراء مطلب عندما أدعو الناس لزيارتى؟ هذا صحيح، لم يمضى عليه زمن طويل ليعرف هذا. ربما تحادث جاك معه من وراء ظهرى.

فضحكت جوانا:

أو أنه شكاك بطبيعته.

ورفعت إيزابيل يديها يائسة:

في هذه الحالة، فليساعدنا الله.. فلن يعطينا العزبة لو أنه شكاك.

ولماذا تريدين العزبة؟

أنا سعيدة لسؤالك.. إنه مشروع لي. صبى لنفسك بعض القهوة واجلسى إلى جانبى.

ففعلت جوانا ما قالته لها، ثم سألتها:

حسن جداً أخبرينى عن كل شيء. يبدو أن لا عمل لى فى المكتب. بعد الظهر، ولكننى أحذرك، يجب أن أخرج عند الثالثة والثلث وإلا سأتأخر على الأولاد.

أوه.. الأولاد.. لا تقلقى سأوصلك بالسيارة. فهذا يستحق.. أنت مستمعتى الوحيدة المتعاطفة معى، فالجميع يسأم منى. حتى جاك، العزيز المسكين، يتمنى دائماً أن أفقد حماستى وأسكت.. ولكنى لن أفعل.

تسكتين عن ماذا؟

عن فكرة سهرتى التنكرية للعصور الوسطى.

سهرة تنكرية؟

وهزت المسنة رأسها بانتصار.. ففكرت جوانا للحظات ثم سألت:

ولكن.. كيف.. ولماذا؟

لماذا؟ كى نجمع التبرعات.. ولماذا غيره؟

ولم يربكها كلام السيدة برفورد فهى معتادة على مثل هذه الحفلات المولعة بها.. فجمعية السيدة بدفورد تشكلت بغرض جمع الأموال لشراء ثلاثة قطع من الأراضى لإنشاء منتزه عام عليها. ولكن جوانا رغم معرفتها بكل هذا بقيت محتارة:

حفلة تنكرية؟ ولكن ما هو المميز بالأزياء القديمة؟ لماذا لا تقيمين حفلة راقصة عادية؟

لأن لدينا قصراً قديماً من العصور الوسطى فى القرية، فعزبة (الريح) تناسب الغرض. وخاصة أننى أريدها بسرعة.

بسرعة؟ متى؟

أوه.. وقت الميلاد.

فابتلعت جوانا ريقها، فحدقت بها المرأة الأخرى قائلة:

أنا لا أحب ترك مثل هذه الأمور عالقة.. فقد تفسد.

ولكن.. الميلاد..

بالطبع.. يمكننا أن نشعل نار حطب كبيرة، ويمكن للفرقة التمثيلية أن تقدم عرضاً للمناسبة. ويمكن للأطفال أن يغنوا تراتيل الميلاد.. وسنقدم لحم عجل..

ووقفت جوانا من مقعدها وقالت بقوة:

لا.!

ولكن يا عزيزتى من الطبيعى أن يستطيع آرثر التعاطى مع الأمر.

ليس مع عجل.

ولماذا لا؟ إذا كان لا يمانع آرثر فى طبخه.

وقالت بعبوس، وهى تعرف محبوبها كما تعرف امرأة عمه تماماً:

آرثر لن يقبل شراء الحيوان، ونقله إلى هنا ثم رؤيته يذبح وينظف ويوضع على النار.

ولكن هذا سيكون رائعاً. يمكننا أن نحرق عظامه على شاطئ البحر.

لا حرق للعظام ولا عجل.. هذا إذا كنت تريديننى المشاركة فى تنظيم السهرة.

فأجابتها السيدة العجوز بخشونة:

بالطبع لن أريدك أن تشاركى فى تنظيمها.. إنها مسؤولية كبيرة عليك يا عزيزتى.. ومتى سيكون لك الوقت، وأنت تعملين لجاك كما تفعلين.. وتعنين بالأولاد كل ليلة. وكما أفعل دائماً، سوف أنظم الحفلة بنفسى. ولم أفكر أبداً بأنك قد تشاركينى.

فاغتاظت جوانا، رغم ارتياحها، وصممت رأيها:

بدون عجل.

ودون توقع، استسلمت السيدة بدفورد.

أوه.. حسن جداً، مع أننى أعتقد أنك لست رومانسية.

ولكننى دائماً كنت هكذا.

مختلفة عن آرثر كثيراً. لقد وافق على الفكرة فوراً، ولم يعترض بسخف على أى شيء.

لم يعترض..؟

أجل فلديه مخيلة أكثر من بعض الناس. على كل، الفكرة لا تزال فكرة حتى الآن.. فطالما لم أستطع مقابلة السيد تورينول والحصول على موافقته.. فلا فائدة من بحث الأمر.

آه.. وهل تظنين إنه قد يرفض؟

ليس تماماً. هل تظنين إنه سيرفض طلبى؟

ربما لن يرفض. ولكن لا يبدو إنه يعمل هنا، أليس

كذلك؟ وربما اشترى المنزل لقضاء العطلات فيه، ولا أظن أن عليك الاعتماد على مقابلته وأخذ موافقته.

فردت عليها إيزابيل بثقة:

سأمسك به، وسيوافق. وسأذهب هذا المساء لرؤيته بعد أن أوصلك إلى المنزل. لقد آن وقت ذهابنا.. هيا بنا.

بعد أن وضعت الولدين كل فى سريره.. نزلت جوانا إلى المطبخ لتبدأ عملها المنزلى، ولتغسل ثيابهما كما كل أسبوع. وكانت لا تزال تهنئ نفسها لأنها لا تنتظر الآن زيارة أحد، عندما فوجئت بقرع عنيف على الباب. فأزاحت سلة الغسيل، وذهبت لتفتح.

كان برايان تورينول يقف عند الباب.. فأصيبت بالدهشة:

تفضل بالدخول.

وسارعت إلى إقفال باب غرفة الاستقبال بعد أن دخلا فقال:

أهذا تصرف عدائى؟

لا.. ولكننى لا أريد أن يسمع الأولاد صوتنا إذا كانا لا يزالا صاحيين. وخاصة بوب. فهو يتأخر فى النوم.

بوب؟

آه.. إنه ابن أخى.. لقد التقيت به.

أوه أجل.. عرفته. ألا يحب أن يزورك أحد بعد حلول الظلام؟

لا تكن ظالماً.

وهل من عادته أن يرمى زجاجات الحليب المحطمة ليمحوا آثار الوحش الصغير.

إنه ليس وحشاً صغيراً. ثم ماذا قلت؟

زجاجات حليب، مكسورة، إنها منشورة على الطريق هناك ولقد أصيبت ثلاثة من إطاراتى، وأردت استخدام هاتفك..

ولاحظت على الفور أن أصابعه مليئة بالشحم.. لابد

إنه كان يهم بتغيير إطار عندما اكتشف حالة الآخرين. وهذا يفسر نظرة التجهم على وجهه.. وتصاعدت فيها رغبة خبيثة للضحك. ولكنها قالت:

بالطبع.. تفضل. إنه هناك، وإذا أردت الاتصال بالكاراج فى القرية فالرقم على لوحة الأرقام. سأصنع لك بعض القهوة. فأنت مبلل وتشعر بالبرد.

وهربت إلى المطبخ لتستسلم لنوبة من الضحك.

وكانت تجفف عينيها بمنشفة عندما أحست أنها مراقبة. وكان برايان تورنيول يقف بالباب. ومن منظر وقفته، أدركت أنه هناك منذ لحظات طويلة، يراقب ضحكها. فقال بغضب:

هل تضحكين دائماً على مشاكل الآخرين؟

ليس بإرادتى.

ظننتك جننتى.. أول الأمر أدخلتنى إلى المنزل وكأن المنزل مراقب.. ثم ادعيت أن ابن أخيك لا يحب زيارة الناس لكم بعد حلول الظلام.. والآن أجدك تضحكين

بهستيرية فى المطبخ.

أنا آسفة.. يبدو الأمر شاذاً.. أعرف هذا.

إنه شاذ.. على الأقل بالنسبة لى.. ولكننى وافد جديد والكثير مما يجرى فى هذه القرية يبدو غريباً لى.. فأصحاب الدكان الصغير يرتابون بأننى أقوم بأعمال سحر أسود فى منزل دراكولا..

فضحكت جوانا ثانية لتسميته الغريبة لمنزله فتابع:

زوجة البريغادير وزوجة القس تلاحقاننى.. لماذا.. لا أستطيع أن أتخيل.. وها أنت.. واليوم غزا المنزل طفلان مؤذيان، فعلا ما بوسعهما لتدمير اللوحة الوحيدة الصالحة لدى.

كم هذا.. مؤسف.. هل كانت غالية الثمن؟

واتسعت عيناه، ثم قال بهدوء:

لقد عرفت.. لابد أن ولداك هما المؤذيان.

وللحظات، كادت أن تنكر الأمر. ولكن مونيكا قبل أن

تنام اعترفت لها بأن معلمة المدرسة أخرجتهما بنزهة، واكتشفت هى وبوب مدخلاً إلى منزل العزبة عبر أحد النوافذ، وتسببت أثناء دخولها بتحطيم إحدى اللوحات، ولكنها قالت:

أخشى أن تكون محقاً. هل كانت اللوحة غالية الثمن؟ أرجو أن لا يكونا قد حطماها كثيراً. ومما أخبرانى به أصابهما شيء من هذه المغامرة.

فقطب جبينه بسرعة:

أتعنى أنهما أصيبا بأذى؟

مونيكا قليلاً. ولقد عرفت بالأمر لهذا السبب، فهى لم تستطع تفسير سبب إصابتها بخدوش، لذا قالت لى الحقيقة.

هل أخذتها للدكتور؟

لا أظن أن..

لا أستطيع التصديق.. لأجل الله يا فتاة.. تلك اللوحة

معلقة هناك منذ مائة سنة أو أكثر، ولا نعرف أى نوع من الحشرات فيها. أو ما تحمل من جراثيم.

ونظرت إليه بعدائية:

أنا أدرك تماماً ما هى المخاطر.. ولا أفقد تعقلى كلما أصيب واحد منهما بخدش فى ركبته، صحيح إنها أصيبت بخدش ولكن اللوحة لم تمزق الجلد. وقدم يتورم كتفها قليلاً، بعد أن ارتعبت، وكلاهما أمر غير خطير، وما أنا مهتمة به أكثر هو ما سبباه من ضرر للوحتك. ويجب أن تسمح لى بالطبع فى دفع الأضرار.

كلام هراء.

ولكننى أصر.

حسناً.. لست أدرى كم ستكلف، أو حتى إذا وجدت أحد يصلحها.

إذا وجدت أحداً يصلحها فأرسل لى الفاتورة.

فتنهد وهو يقول:

أوه.. حسن جداً. والآن هل تسمحى أن أغسل يداى؟

ماذا؟ أوه.. بالطبع.

وبعدها سأتصل بالكراج لإصلاح سيارتى.. إنها عند حافة الطريق إلى بيتك.

وعاد بعد أن غسل يديه إلى غرفة الجلوس، وسمعته يتحدث فى الهاتف وهى تملأ الإبريق الفضى القديم وتضعه على النار.. وعندما عاد إلى المطبخ كان يعبق برائحة القهوة الطازجة.

العجوز الغبى يقول أن على السيارة الانتظار حتى الصباح.

وقالت وهى تضع الفناجين على الصينية.

لقد ظننت إنه سيقول هذا.. هل أنت جائع؟

أجل.. ما تعنين أنك ظننت إنه سيقول هذا؟ لماذا لم تقولى قبل أن أتصل به؟

لأننى لم أكن واثقة، وربما قبل بالمجىء لأجلك. ولكنه لن يفعل لأجلى.. إنه رجل رجعى ولا يوافق على أن تقود النساء السيارات لذا يشعر بالانتصار على عندما تتعطل سيارتى.

وهو لا يحب السيارات الرياضية الغريبة أيضاً، ولا من يقودها.

وقد يكون الأمر أسوأ.. عندما ننتهى من القهوة سأخرج سيارتى لأوصلك إلى العزبة.. إلى أى مدى أنت جائع؟ أتريد سندوتش جبنة، أم تريد طعاماً مناسباً؟

فنظر إليها وقد ظهر المرح فى عينيه:

هل تعرضين على إطعامى؟

واحمر وجه جوانا لعدة أسباب، فقالت بحياء:

حسناً. أنت مبلل وتشعر بالبرد.. وهذه ليلة سيئة.

إنها فعلاً كذلك.

وأخذ الصينية منها وبدأ يدهن بالزبدة قطعاً كبيرة

من الخبز وتابع:

ولن يتحسن الطقس، كما أتصور لقد تطفلت عليكم وقد أزعج الطفلين.. إنه إحسان كبير منك.

وقالت له جوانا مؤكدة:

قد أفعل نفس الشيء لأى إنسان. ولكى تعرف الحقيقة، أنا السبب فى كسر زجاجات الحليب على الطريق. لقد وضعتها هناك فى كيس كى لا يتحمل موزع الحليب مشقة المجيء إلى هنا، ولكن الأمر لم يكن مرضياً. أظن أن على الذهاب لكنس قطع الزجاج عن الطريق، فالليلة باردة وفيها ريح كثيرة، وقد يقع غيرك فى الفخ.

ووضعت طبق الخبز والزبدة فوق الصينية وقالت:

اذهب واجلس قرب النار وتناول قهوتك. لن أتأخر دقيقة.

وأعاد لها الصينية ضاحكاً:

هذا صحيح.. لن يستغرق الأمر أكثر من دقيقة، أنا جاهز للخروج ومبلل سلفاً.

وتناول المكنسة، وتقدم نحو الباب.. وعاد بعد خمس دقائق وخلع معطفه السميك، وفرك يديه ليعيد إليهما الدم، فجرت له جوانا كرسياً قديماً مريحاً إلى قرب النار، ثم صبت له القهوة.

وتناول السندويتش ليلتهمه بشراهة ويقول بفم ممتلئ:

لقد كنت لطيفة معي.

وأنت كذلك. حول الأولاد وكل شيء.. وأنا مدينة لك.

ونظرت إليه نظرة أملت أن تكون جميلة.. سوف تطلب منه مسامحة الأطفال. ولكن ثبت أن طريقتها غير ناجحة.

وأجابها بنظرة متسائلة:

أجل.. أنت مدينة لي.. أليس كذلك؟

ساد صمت حاد حاولت جوانا خلاله التفكير فى رد مناسب، ولكنها فى النهاية تخلت عن المحاولة. وقالت بنزق:

لا حاجة لك لأن تبدو سعيداً هكذا بما تقول. فقد يظن الناس أنك ترحب بمن يتلف لك أغراضك وأثاثك.

وفكر بما قالت، وعيناه نصف مضمضتين.

لا.. لا أظن بالإمكان قول هذا.. فأنا لا (أرحب) بالضبط، ولكننى لا أعارض أن تكونى مدينة لى.

ولماذا؟

وبدا أنه يزن رده. ومدد جسده براحة فى المقعد القديم، وأغمض عينيه، وتساءلت ما إذا كان قد نام تحت تأثير الدفء وأسئلتها المربكة:

وعندما تكلم فى النهاية كان كلامه لا علاقة له بسؤالها:

هذه غرفة مريحة جداً.

شكراً لك.. لماذا تريدينى مدينة لك؟

فابتسم متراخياً:

مجرد نوع من التكتيك.

تكتيك؟ أتمنى أن تتوقف عن التهديدات المبطنة، وتخبرنى بما تفكر بصراحة.

فتنهد:

كنت أشعر بالارتياح.. أحذرك أن هذا لن يعجبك.. هل سترمينى إلى الخارج لحظة سماع ما سأقول؟

وبدا ساذجاً فى إمساكه بفنجان القهوة بين يديه وضمه إلى صدره حتى وجدت جوانا نفسها تميل إلى المرح ثانية، وتبدأ بالضحك:

ممكن جداً. وهل تريد ضمانة قبل أن تبدأ؟ حسناً..

إذا أخبرتنى الحقيقة لن أغضب منك.

فتمتم متعمداً إثارتها:

أوه.. ولكن هل أستطيع الاعتماد على كلمتك؟

أظن هذا.. إذا كان الطفلان لم يدفعانى لفقدان أعصابى والإخلال بوعدى بالهدوء فلا أظن أنك ستؤثر بى كثيراً.

فرد عليها ساخراً:

إنها فكرة مطمئنة.

ووضع فنجانه من يده، وعلى الرغم من إنه كان يبتسم، فلقد ظنت أن بإمكانها كشف عدة تعبيرات غير مريحة على وجهه..

أول كل شىء، الأفضل أن أقدم نفسى.

ولكننى أعرف اسمك.

وهل هذا يكفى؟

فهزت رأسها:

إلا إذا رغبت فى إظهار رخصة قيادك أو شارتك البوليسية أو أى شىء من هذا.

ماذا؟

أو بطاقة المخابرات الخاصة بك.

أنت مجنونة.. لقد عرفت هذا.

لا.. لا.. حـــتى ولو كنت فـــهـــو نوع من الجنون يشاركنى الكثيرون فيه. أنا آسفة، فالسيد هوب، أنت تعرفه، يقول أنك لست كما تبدو. ويظن أنك عميل سري، ولكنه لم يقرر فى أى جهة أنت.

وأنت تظنين أننى عميل سرى محلى.. لماذا؟

حسناً، لم تبدو لى أنك قادم من أصقاع روسيا.

إنه منطق مخطئ يا صغيرتى فربما أكون جاسوساً لـ (كى جى بى) السوفياتية.. ولا يمكنك الحكم بالمظاهر.

لم أفكر بهذا.

حسناً فكرى به المرة القادمة.. هل هناك المزيد من القهوة؟

لست أدرى إذا كانت لازالت ساخنة.. هل جئت إلى عندى كى تعترف أنك جاسوس دولى؟

هل تصدقينى إذا قلت لك (نعم)؟

ليس لدى سبب لعدم تصديقك. لذا، أستطيع القول نعم أصدقك.

أنت تغرينى.. فعلاً.. ولكننى لا أستطيع الكذب على بريئة ساذجة مثلك.. أنا خبير بترول.. لا أكثر ولا أقل.

وفكرت جوانا بردة فعل وصوله إلى القرية على أهلها، وكبحت ضحكة، وأقنعت نفسها بالاعتدال:

لا أصدق هذا.

أؤكد لك.. لقد أمضيت معظم أيامى فى الخارج، أدرس الخرائط، وأنفذ الخطط.

أين؟

فى الشرق الأوسط، وشمال إفريقيا. كنت أبنى مواقع حفر البترول هناك.

ولكن هذا ما يعمل به أخى.. إنه يعمل لمؤسسة كبيرة فى أوستراليا مع إنه لم يحصل على شهادات.

نحن ندعوهم (مستشارين) واعلم ما حصل لريتشارد، لقد..

هل التقيت به؟

عملت معه. فى الواقع عملت معه فى أوستراليا.. وفى الواقع أقمت معه ومع لودى قبل مقتلها.

صحيح؟ ولكن لماذا لم تقل هذا على الفور؟ وما هى الظروف التى أوصلتك إلى هنا؟.. لم تكن صدفة، أليس كذلك؟

أخشى أن لا تكون صدفة.

فوقفت وتقدمت من النافذة تحدق إلى الخارج نحو عتمة الحديقة. وأحست بقشعريرة برد تجتاح جسدها، وجفاف فى حلقها.. لابد أنه قد أتى ليبلغها أن عليها إرسال الأطفال إلى جدهم، وأن ريتشارد قد قرر لهما مستقبلهما، وهو والدهما. وتذكرت طفولتها معه، فهو لم يستخدم أبداً الورق لتحرير أوامره.. بل كان يرسل من

يملي التعليمات كي يقلب حياة الجميع رأساً على عقب. وقالت بصوت بارد:

تابع كلامك.

الأفضل أن تعودى للجلوس. فالأمر ليس سهلاً.

ألهذا أخرت قوله لى، إلى كم؟ ثلاثة أسابيع؟ ألم تستطع مواجهتي من قبل؟

حسناً، أنا لم أتلق استقبالاً حماسياً فى البداية. حتى وقبل أن تعرفى من أنا.. انظرى، بإمكاننا التفتيش عن حل فلا تنزعجي.

لست منزعجة. أظن أن ريتشارد طلب منك أن توصل الأولاد إلى جدهم. وليس لدى ما أقول سوى أننى لن أفعل شيئاً قبل أن أكتب له. هل أنا واضحة فى كلامى؟ والآن.. أرجو أن تذهب من هنا.

فتجاهل كلامها وأمسك بيديها ليجبرها على الجلوس، وقال بلطف:

توقفى عن الارتجاف. فريتشارد لم يكلفنى بشىء. ولو فعل فلن أوافق. فتوقفى عن تعذيب نفسك.. ما الذى أعطاك مثل هذه الفكرة؟

ألن.. تأخذهما.. ولكن.. ريتشارد قال.. أعنى.. لقد وصلتنى رسالة منه..

إذا لابد إنه شرح لك.

لا.. لقد.. كانت رسالة غامضة.. وفهمت منها إنه يريد أن يعيد الأولاد إلى أهل لودى. اشتكى من مدرسة القرية، وقال أن بوب بحاجة إلى استقرار فى حياته. فماذا يمكن أن أفكر غير هذا؟

وهل قال هذا؟ أستطيع إذن فهم ارتباكك. يبدو أن ريتشارد ليس أفضل منى فى شرح ما يريد. ولقد أعطانى رسالة أوصلها لك وارجوا أن يكون قد شرح لك فيها بشكل أفضل. ولكن من الأفضل أن أعطيك شرحاً مبسطاً أولاً، فعلى الأقل ستتوقفى عن القفز إلى الظن السيئ.

وعاد نحو المدفأة ووقف، ويداه وراء ظهره يحدق باللهب:

لست أدرى كيف أبدأ. يبدو الأمر مهيناً. أترين.. ريتشادر قلق على الأولاد. ولقد أجروا عليه فى المستشفى العديد من الفحوصات والتجارب، وسيقومون بالمزيد. وهو ليس ملازماً للفراش طوال الوقت. ولكنه ببساطة لم يتخلص بعد من تلك الإصابة والأطباء لم يعرفوا ما هى. ومن الواضح إنه مرتبك جداً لعدم تقدم حالته. لذا طلب منى أن أذهب لأقابله.

وحدقت به. فتنفس عميقاً وتابع:

لقد كان ثائر الأعصاب.. وقال أن شيئاً ما يجب أن يتم لأجل الأولاد وبشكل دائم، ولا يمكن أن يعيشا ضيفين مؤقتين معك، ولا يظن أن هذا إنصاف لك، بين أشياء أخرى. لذا .. اقترح أن.. يريدهم الذهاب إلى مدرسة بعيدة.

بعيدة؟ أتعنى مدرسة داخلية؟ كلاهما؟ ولكنهما

صغيرين جداً وسيكرهانها.. أوه.. لا يمكنه فعل هذا! وأنت لا تستطيع كذلك؟ لن أسمح لك، سأرسل برقية لريتشارد.. وسأقابل المحامى فى الغد.. لن تستطيع..

فرد عليها بهدوء:

بل أستطيع، أو بالأحرى.. أستطيع إذا حكمت على الموضوع بشكل صحيح. فلقد عيننى ريتشارد وصياً عليهما فى غيابه. ولقد عرضت الوكالة على مكتب محاماة حال أن وصلت إلى كندا.. ولهذا السبب لم أكلمك بالأمر من قبل. لقد أردت معرفة موقفينا القانونيين. ويقول المحامى أن معك قضية محقة إذا أردت المقاتلة لأجلها.. فالمحاكم عدة تتعاطف مع النساء اللواتى سيفترقن عن حملانهم الصغار.

وقالت هامسة:

لا تجرؤ مرة ثانية على السخرية منى!

لست أسخر.. والله يعلم! ولا ألومك على شعورك بالحرارة. أردت فقط أن أقول لك أنك لست عاجزة تماماً.

ولديك قدرة على المقاومة إذا رغبتى. ولكن، كما قيل لى، العملية بطيئة ومكلفة.. وسيكون الأفضل للجميع، وخاصة للطفلين، لو اتفقنا على ترتيبات معينة.

ووجدت نفسها راغبة فى البكاء. فأدارت ظهرها له، تبحث عن منديل:

أى نوع من الترتيبات؟

فضحك:

لست أرى فائدة فى بحث الأمر الليلة، فلست فى مزاج يسمح لك بالموافقة على أى شىء.. فلنترك الأمر إلى الغد.. سأجىء لأراك.

لا أريد أن أراك ثانية.

أنا واثق من هذا، ولكنه ليس مهم.. أليس كذلك؟ سأترك لك رسالة ريتشارد.

وأعطاها الرسالة. ولكنها بقيت مديرة ظهرها إليه. فتنهد ووضعها على ذراع المقعد فقالت بحرارة:

الصدف! إننى لا أؤمن بها.. وماذا عن زجاجات الحليب؟ أراهن أنك كسرتها بنفسك لتجد عذراً بالدخول إلى هنا.. والمنزل.. كيف اشتريت ذلك المنزل؟

قصر دراكولا؟

لا تسميه هكذا، إنه منزل جميل.

ولكنه قديم.. أوه.. هيا.. لن نختلف من أجل منزل.

إنه منزل قديم جميل. ولكننى أعتقد أن نوعه لا يعجبك.

لقد كان هكذا، وهو الآن، خرابة، إنه قذر ومليء بالجرذان.

ولماذا اشتريته إذن؟

إنه يناسب روحى الرومانسية.

لقد اشتريته لتتجسس على. أليس كذلك؟ هل دفع ريتشارد ثمنه؟ وتقدم منها ليديرها إليه بحدة، وقال متجهماً:

هذا يكفى.. لقد تسامحت بما فيه الكفاية مع صدمتك الطبيعية.. وشاهد الدموع تترقرق فى عينيها، فقال بلهجة أكثر اعتدالاً:

كنت بحاجة إلى منزل. فليس لدى أية روابط فى كندا وبدا لى قصر دراكولا هذا مكاناً مناسباً. ومن الطبيعى أن أرغب فى أن أكون قرب الأولاد.. طالما أنا مسؤول عنهما.

لست مسؤولاً عنهما:

قانوناً أنا مسؤول، ومالياً أنا مسؤول.. فلقد أرصدت الأموال لمستقبلهما وأنا الأمين عليها.

وللحظات حدقت فى وجهه الهادئ دون قدرة على الكلام. وبدا من وراء نظارته أنه يضحك منها. فتراجعت خطوة وأطلقت يدها نحوه بضربة قوية، فآلمتها يدها وأمسكت بالأخرى. وأحست بالذعر وهى تنتظر الرد.. وقال لها بهدوء وسيطرة غريبة على أعصابه:

أنت متكدرة.. وسأتركك الآن، ولكن إذا حاولتى فعل

هذا ثانية، فسأرد عليك بكل اهتمام.

فتراجعت خائفة إلى الوراء، وقالت بفزع:

أنا واثقة أنك ستفعل.. ولكننى لن أفعل هذا ثانية.. أننى آسفة لقد نسيت نفسى.

فابتسم لها:

وأنا كذلك. لا بأس. أنا واثق أننى أستحق الصفعة.. فلنقل أننا تساوينا ونبدأ من جديد.. ألا يمكن أن نكون أصدقاء؟

صعب.

ودون أن تتوقع أخذ وجهها بين يديه، وقال:

أتعلمين أنك مشاكسة.. وريتشارد قال لى أنك رقيقة ناعمة لن تسبب لى المشاكل.. إنه أساء تقديرك تماماً.

أتمنى هذا.. فلدى كل نية أن أسبب لك القدر الأكبر من المشاكل.

أصدقك تماماً. حسناً.. وداعاً الآن.

وانحنى ليقبلها .. فاجتاحها الذهول البسيط فوقفت مندوخة.. ثم سمعت الباب الأمامى للمنزل يغلق بهدوء خلفه.

للحظات ضاعت المسألة الأكبر فى المسألة المستجدة الأصغر وهى تجلس لتفكر. فكيف تجرؤ فى أن يقبلها وكأنه بحاجة لأن يجعلها تطمئن؟

ومدت يدها إلى الرسالة، ففتحتها، وبدا لها أن مجرد فتحها للرسالة هو دليل ضعف. وأحست أنها أصبحت مشاركة فى مؤامرة ريتشارد.. وكتب لها ريتشارد بعاطفة جياشة، ولكن كالعادة دون رابط. أول شيء ذكر لها عن حالته، ومرت على هذا مرور الكرام. ثم ركز ثانية على انتقاد ضعفها وانتقاد مدرسة القرية وهذا ما أوصله إلى صلب الموضوع. وفى جملتين قصيرتين، عرض لمستقبل الطفلين ووضعهما مع عمتهما تحت رعاية برايان تورنيول.. والإمضاء أخاها المحب، وهذا كل شيء.

وتركت الرسالة تقع من يدها. ووضعت رأسها بين يديها.. ماذا ستفعل؟ وإلى من تلجأ للنصيحة إذا لم يكن

لشيء آخر؟

لابد أن محاميها سيؤكد ما قاله برايان.. والسيدة بدفورد ستستمع إليها بحماس ولكن لن تستطيع فعل شيء.. وآرثر.. إنه فاتن وأهل للثقة عندما يكون لديه وقت ولكن نصيحته لن يكون لها طبيعة مؤثرة. وأخذت أحزانها معها إلى الفراش، ونتيجة لها بالكاد استطاعت أن تنام.

لما تبقى من الأسبوع بقيت مشغولة تحضر حسابات المزرعة للبريغادير بدفورد، وعندما لم تكن تطبع له البيانات كانت تجول فى المزرعة تجمع أرقام التكاليف وتقديرات الإنتاج من مدير المزرعة ومساعديه.. لذا لم تتح لها الفرصة لأن تقص ما حدث لأحد.

ولكن مهما استطاع عملها أن يمتص تفكيرها خلال ساعات الصحو، فهى لم تستطع أن تسيطر على هذه الأفكار وهى ترتاح، فأمضت ساعات لا عد لها مستيقظة تشعر بالبرد، تدير فى رأسها العديد من الخيارات.. بإمكانها اللجوء إلى القضاء.. بإمكانها الهرب مع

الأولاد.. ولكن القضاء مكلف وغير مؤكد النتيجة، وإذا هربت فلابد أن أحداً سيجدها. أنها عاجزة عن فعل أى شىء، وهى تعرف هذا. وحاولت أن تفكر بمنطق: ربما سيكون الأولاد أحسن حالاً فى مدرسة داخلية مع أتراب من عمرهما.. ولكنها تعرف تماماً كم انزعجا من غياب والدهما المطول وموت أمهما، ولن يصدقا هذا.. هذا المنزل الريفى وعمتهما جوانا يمثلان الأمان الوحيد الذى يعرفاه. وسيكون من الظلم إبعادهما.

وشحب لونها بشكل ظاهر.. وما أن حل مساء الجمعة حتى أصبحت عيناها حفرتين سودواين فى وجهها، وقالت لها إيزابيل بدفورد وقد ظهر عليها القلق:

جوانا! عزيزتى! ما بك؟

ماذا.. آه مرحباً.. أنا آسفة.. لقد كان تفكيرى بعيداً..

لقد كان فى القطب الشمالى.. هل أثرت فيك مصائب جاك المالية أهذا هو السبب؟

لا بالطبع..

هذا جيد، لا يجب عليك أن تتأثرى بها.. فحتى لو اضطررنا لبيع المزرعة، فالحياة ستستمر. ورغم أن جاك لا يشعر بالأمر، ولكنه سيكون سعيداً فى العيش فى منزل ريفى بسيط ليزرع خضاره بنفسه.. المزارع تعتمد على الآلات كثيراً فى هذه الأيام.. وكل سعادة المزارع ذهبت مع هذه الآلات. لذا لا لزوم لانزعاجك.

ونظرت إليها جوانا بمحبة، وهى تعلم جيداً أن خسارة المزرعة ستكون مأساة كبيرة لها. وقالت:

أنا لست منزعجة.

فلماذا التجهم إذن؟ هذا ليس من عادتك.. عندما دخلت عليك الآن وجدت أن وجهك، ما كان يسميه جدى، بوجه يرعب الشيطان. هل أنت تعبة؟ أم أن السبب طقس الخريف؟

كلاهما.

ما أنت بحاجة إليه هو بعض الهواء النقى.. فأنت لا تتنزهين بما فيه الكفاية.

الطقس لا يناسب.

لا تتحججى.. الهواء يبقى هواء، حتى ولو كان بارداً قليلاً ومرطباً، فى مثل هذا الوقت من السنة. ألم تعودى تركبين الخيل فى هذه الأيام؟

وتنهدت جوانا، فعلى الرغم من أنها ليست فارسة ماهرة، فقد كانت تتمتع بركوب الخيل. وقبل أن يصل الأولاد للسكن معها كانت دائماً تستأجر جواداً من القرية وتخرج فى نزهة إلى التلال. فيكى دوبلن، صديقة طفولتها ومديرة مدرسة الفروسية الآن، كانت تخرج معها أحياناً برفقة زوجها وينضم إليهم آرثر بدفورد.. ولقد توقف كل هذا بسبب الأولاد. وقالت إيزابيل بإصرار:

هل توقفت عن ركب الخيل؟

أوه.. فى الواقع لا وقت لدى. على كل الاسطبلات مشغولة جداً هذه الأيام وأشك أن فى استطاعة فيك أن تؤجرنى جواداً لأكثر من ساعة. ولا أحب أن تكون نزهتى قصيرة، فعندما أركب الخيل أريد أن أبتعد.

لا يهمنى ما تقولينه، كل ما أعرفه أن عليك الخروج، ولو لبضع ساعات. سأقول لآرثر ليهتم بهذا.

فقالت جوانا بحزم:

لا.. شكراً لك.

ولكن إذا كان شخص آخر سيخرج معك سيكون الأمر مختلفاً.. ألا تفهمين؟ إذا كان آرثر ينتظرك ستضطرى للذهاب.

أجل.. وقد يكون هذا أمر غير مناسب. أو لم يبدر إلى ذهنك إنه قد يكون مشغولاً بأشياء أخرى؟ حتى إنه قد لا يرغب فى الخروج معى.

هراء.. سيفيده الخروج أيضاً. لقد بدا لى متوتراً آخر مرة. ربما بسبب الطاهى الجديد.. هل شاهدته؟

لا.. بل شاهدت الساقية. لقد قال آرثر إنهما عملا معاً. إنها جميلة هل هى زوجته؟

للسماء.. لا.. إنها ساقية حقاً. إنها ممثلة.. آرثر

أخبرنى. وهى شقيقة الطاهى. وهو يقول إنها أنهت عقدها الصيفى ولم تحصل على عمل جديد. لذا أتت إلى أخيها لعيلها، ووظفها آرثر كساقية. ذلك الشاب له قلب من ذهب. لا قلب له أن يرفض طلب أحد.

إنه بحاجة لساقية. وهى جميلة جداً. بل أكثر من جميلة.

هراء..! إنها تبدو كدمية خرافية مزخرفة على شجرة الميلاد. من مثلها لا شىء حقيقى فيه.

أنت حقاً لا تحبينها أليس كذلك؟

لست أهتم. ولكننى أعلم أن آرثر غبى. لقد ذهبنا لنتعشى هناك ليلة أمس. لهذا يبدو جاك المسكين منزعجاً، فهو ليس متعوداً على طعام المطاعم.

ولماذا وافق المسكين على الذهاب؟

لأننى قلت أن آرثر سيغضب إذا لم نفعل. ولكن الحقيقة أننى أردت رؤيتها، فجواسيسى قالوا لى أن هناك امرأة رائعة الجمال هناك.. وآرثر مفتون بها ولكنه دائماً يقع فى حبائل المرأة غير المناسبة.

كونى صادقة.. من هى فى نظرك المناسبة له؟

أوه.. لست أدرى. فتاة لم يجدها بعد. وليس إحدى فتيات المدينة اللواتى هو معجب بهن. فتاة تعرف عن حياة القرية والمزارع وتكون سعيدة للعيش هنا معه.

لا أعنى أن أكون فظة يا إيزابيل، ولكن لدى عمل كثير.. هل جئت لترينى لأجل شىء محدد، أم لمجرد تبادل الحديث؟

كلاهما.

ووضعت جوانا ورقة جديدة فى الآلة الطابعة، وانتظرت، ثم قالت:

حسناً؟

الأمر صعب قليلاً. أريد الحديث عن مشروعى.

آه.. أجل.

أعلم أننى قلت لك أننى لا أريد مشاركتك فى تنظيمه.. وكنت أعنى ما أقول.. ساعتها.

ساعتها..! ولكنك الآن غيرت رأيك. ماذا تريدينى .
بالضبط أن أفعل؟

الحقيقة، أريدك أن تمدى يدى المساعدة لى.. فذلك الرجل المتوحش الذى فى العزبة لا يتواجد أبداً. وعندما تكلمت معه أخيراً فى الهاتف قال أن بإمكانى الذهاب إلى عنده فى الغد. ولكنه لم يبدو مرحباً.

ولن يكون.

فى الواقع بدا عدائياً. وبإمكانى الذهاب لوحدى.. فقد دعانى.. ولكننى أفضل كثيراً أن يكون معى رفقة.

أنا؟ أوه.. إيزابيل.. لا!

ولكنك تعرفينه.. وتحدثت معه.

فضحكت جوانا:

لقد تحدثت معه بالفعل، وهو دون سؤال أكثر رجل مزعج متعجرف قابلته فى حياتى!

إذن لا يمكنك تركى أذهب لوحدى..

أنت معتادة على مثل هذه الزيارات إيزابيل.. فاستخدمى سحرك وقوة إقناعك عليه.

لا أظن أننى قد أجرؤ.. أنه يبدو..

بغيضاً؟

ليس بالضبط.. ولن أقول أنه يبدو شريراً. لقد شاهدته ليلة أمس فى المطعم.. وهو يبدو متمدناً. ولكنه فقد يبدو متعجرفاً قليلاً. أظن كلمة (مدنى) أكثر مناسبة له، إنه من النوع الذى يجلس لينهى كل شىء على الهاتف.. إنه من النوع الذى لا يجرؤ أحد أن يقول له لا.

فضحكت جوانا:

أظن أن هذا من صنع الله.. مثل الهزات الأرضية. وأنا واثقة أن رجال البترول لا يهتمون بأشخاص محددين، فالجميع سواء لديهم.

هذا لأن ليس لك الخيال الكافى.. لو أنك تنظرين إليه من وجهة نظرى فستعرفى أن لديه هالة مميزة، وأنا حساسة جداً مع أمثاله.

في هذه الحالة لم لا تكتبي له رسالة ولا تقابليه.. هالة لهالة؟

لأنه سيقول (لا) أوه أرجوك تعالي معي. لا تقولي شيئاً، سأتحدث بنفسي. ولكنني سأكون مرتاحة لوجودك معي. وأنت مثالية، حساسة ومهما كان لا يعجبك.. فأنك لست مدينة له بشيء.

وتوجهت نحو الباب وجوانا تراقبها يائسة. وتابعت:

سآخذك بعد الغداء في الغد.. وأنا شاكرة لك سلفاً. أعلم أن الأمر يبدو سخيفاً.. ولكنني فعلاً أحس بالخوف منه.

وأغلقت الباب بلطف وراءها، وجلست جوانا تحدق بالباب برعب.. وقالت لنفسها:

أما أنا فلست أخافه.. فليساعدني الله.. ألست خائفة منه أيضاً.

ورطه كبيره

لو أن جوانا نامت قليلاً خلال البضع ليال الأخيرة، فإنها تلك الليلة لم تنم مطلقاً. وفى الثالثة والنصف فجراً تخلت عن صراعها غير المتكافئ مع النوم ونزلت إلى الطابق الأرضى. وكانت آخر بضع جمرات لازالت تتقد فى المدفأة، فأضافت بعض حطبات لها، ونفخت فى الجمع حتى اشتعلت ألسنة النار.

وصنعت لنفسها قليلاً من الشيكولا الساخنة وجلست ترتشفها قرب النار، محاولة أن تقرر، ماذا ستقول لبرايان تورنيول، فقد وعد بالمجىء لرؤيتها ولكنه لم يفعل. ولم تقتنع بأن تقتحم بيته بمعية إيزابيل بدفورد.. وصرت على أسنانها تحاول التفكير بطريقة للخلاص من المأزق.

ولكن دون أن تصيب النجاح، وأخيراً استغرقت فى نوم غير سوى، متكورة على الأريكة ورأسها محنى على ذراعها.

وبهذه الوضعية وجدها الولدان المذعوران فى الصباح التالى. وهزها بوب مرتعداً:

جوانا.. جوانا! ما بك؟

فأجفلت متألمة، فنومها لم يكن مريحاً مطلقاً، وأضافت فى غرفة باردة تشعر بالمرارة وأطرافها مخدرة. ولكنها أحست بخوفهما فاستجابت معهما رغم حالتها المزرية:

لم أستطع تذكر ما إذا كنت قد وضعت حاجز الوقاية أمام النار فنزلت لأرى ونمت هنا، هذا كل شىء. كم الوقت الآن؟

الوقت متأخر، لقد استفقنا منذ وقت طويل.

وبقى بوب مرتاباً فسألها:

لماذا لم تضعى الحاجز وتعودى إلى سريرك؟ ٠

لماذا..؟ أوه.. أعتقد أننى كنت تعبة. فجلست لأرتاح وغفوت.

ولكن لماذا..؟

أوه بوب.. أرجوك أنسى الأمر.. لا يهم لماذا. لقد كنت تعبة ونمت، وها قد تأخرنا على الفطار.

وبقى الطفلان قربها وهى تنهض متألمة وتذهب إلى المطبخ.. وتناولوا الفطار بصمت كامل. وجاء ساعى البريد، وتناول معهم الشاى وعلق على وجوههم المتجهمة، ثم ذهب. ورفض الولدان الخروج من المنزل، مع أن النهار كان جميلاً ومشرقاً. وجلسا جنباً إلى جنب قرب النار.. وسرت جوانا لانشغالهما بحل لغز لتكمل عملها المنزلى، ولكن ما أن رن جرس الهاتف حتى وقفا على جانبيها، ينظران بفضول إلى السماعة وكأنهما يستطيعان رؤية وجه المتكلم. وكان المتكلم إيزابيل بدفورد، فتركاها وعادا قرب النار ليتابعا اللعب. وقالت إيزابيل:

بعد ظهر هذا اليوم.

أجل؟

هل يمكن أن نستخدم سيارتك؟ لقد تعطلت السيارة الصغيرة وأنا أكره قيادة الكبيرة.

فتنهدت جوانا:

حسناً.. فى أى وقت؟

بعد الغداء مباشرة.. وقبل أن أفقد شجاعتى.

لا تكونى سخيفة.. سوف أتأخر، فقد نمت حتى وقت متأخر، وتأخرت فى العمل المنزلى، والأولاد يتناولا الغداء حتى الساعة الثالثة على الأقل. فلنقل عند الرابعة.. سأجيء لاصطحبك.

أوه.. حسن جداً. ولكن لا تلومينى إذا اضطررنا لتناول الشاى عنده.

وصلت إلى بوابة المزرعة، وأوقفت سيارتها القديمة أمام الباب ومرت بأقرب طريق! عبر المكتب ثم باحة

الأسطبل فعبر باب المطبخ.

الأسطبلات هذه الأيام فارغة إلا من بضع دجاجات تزود آل بدفورد وآل راينهارت بالبيض. وللحظات وقفت تنظر حولها فى الباحة الخالية.. فى بعد ظهر أيام الخريف المعتمة كانت تبدو الباحة مخيفة وأحست جوانا بالارتجاف.

جوانا! لا تقفى هكذا هناك وإلا تجمدت من البرد، أدخلى..

آسفة.. هل أنت جاهزة؟

أجل.. اصعدى إلى هنا لدقيقة فقط. أريد نصيحة منك.

حول ماذا؟

لست واثقة من ملائمة هذا الشال.

هيا يا إيزابيل.. أين شجاعتك!

لست أدرى ما تعنين..

بل تعرفين.. أنت تحاولين التأخر، ولن أبقى فى الداخل لأجل عرض أزياء. أنت من رغبتى فى الحديث مع الغول. وأنت من تواعدت معه. ولقد حصلت لنفسك على سائق، ولا يمكن أن تتجابنى الآن.

أوه.. حسن جداً.. أنت فتاة عنيدة يا جوانا.

بعد دقيقتين ظهرت فى المطبخ، تبدو بأبهى أناقتها ببذلة رائعة لها شال مربوط عند العنق، وقالت:

حسناً لنذهب وننهى الأمر. ولكننى أحذرك.. أنا خائفة.

بعد نصف ساعة كانت تعتذر لمضيفها لجلبها معها رفيقة غير مدعوة، شارحة أن سيارتها تعطلت وأن جوانا كانت لطيفة جداً فى إيصالها.. ولم يبدو على برايان تورنيول أى اكتراث.

وتابعت إيزابيل:

ولكنك بالطبع التقيت جوانا.

بالطبع كيف حالك آنسة راينهارت.. ألا تتفضلان بالدخول؟ أخشى أن يكون المنزل لا يزال دون ترتيب، ولكن هناك نار مشتعلة فى المدفئة داخل المكتبة. وهذا كل ما أحتاجه فى هذا الطقس، أليس كذلك؟

وفتح لهما باب المكتبة، ونظر بسرعة إلى جوانا وهى تمر من أمامه..

حسناً سيدة بدفورد، بما أنك وجدتنى الآن، ماذا أستطيع فعله لك؟

وتلبكت إيزابيل من سؤاله المفاجئ، فقد كانت تفضل أن تتظاهر بأن زيارتها ودية قبل أن تخوض فى أسبابها، فأجابت بعد قليل من الصمت لتستعيد أنفاسها:

من الصعب قليلاً أن أشرح لك. ولا أعتقد أن الأمر سيعنى الكثير لك إلا إذا كنت تعرف شيئاً عن تاريخنا المحلى.

لا أعرف عنه شيئاً.

أوه.. حسناً.

ونظرت إلى جوانا علها تساعدها.. ولم يكن من طبيعتها أن ترفض، فقالت:

هناك طريق أثرية قديمة تعود لسكان البلد الأصليين، أو على الأقل كانت. وهى الآن تمر عبر حقلين تملكهما شركة خاصة ترفض الاعتراف بالحق العام للمرور عبرها. ورفعنا الأمر للمحاكم، وفعلنا ما بوسعنا، ولكن من المكلف أن نرفع هذا إلى محاكم أعلى.. ورأينا أن أفضل ما تفعله هو شراء هذين الحقلين.

أفهم هذا.. ولكن ما دخل هذا بى؟ فأنا لا أملك أية أرض على تلك التلة.

وقالت إيزابيل:

لك علاقة بالتمويل.

آه.. فهمت.. سأكون سعيداً للمساهمة.. سأحضر دفتر شيكاتى..

لأجل السماء.. نحن لا نطلب المال.

فنظر إلى جوانا، ثم إلى إيزابيل:

لا تريدون مالاً؟ ماذا تريدون إذاً؟

نريد منزلك.

منزلى؟

وأحست جوانا بقليل من التفوق، فأجابت بهدوء:

السيدة بدفورد تفكر أن بإمكانهما جمع المال اللازم لشراء الحقلين، بتقديم حفل عام هنا.. بما إنه أعتق بيت فى القرية.

هنا؟ إنه عتيق فعلاً، ويطقطق طوال الوقت حول آذاننا. وبالكاد يكون قريباً من عمر تلك الطريق الهندية القديمة.. وما نوع ذلك الحفل؟

فأجابت إيزابيل:

أوه.. حفل تنكرى.

وساعدتها جوانا:

قليل من الغناء، فالكاهن لديه مجموعة كورس جيدة..

وربما يقدم الأولاد تمثيلية إذا كان الحفل وقت الميلاد، وقد يهتم بعض هواة التمثيل، ولهم جمعية هنا، بتقديم عرض أو اثنين..

ولاحظت جوانا وهى تتكلم تصاعد الذعر فى وجهه، وكان صعباً عليها منع نفسها من الضحك، ولكن إيزابيل لم تلاحظ ذلك وتابعت فى سرد خيالاتها بينما وقف هو مسمراً فى أرضه، غير قادر على إزاحة نظره عنها. وأنهت إيزابيل كلامها بلهجة انتصار:

ثم أن جوانا تلعب على القيثارة.

فأغمض برايان عينيه، وقد أحس بالقشعريرة، ثم فتحهما ليحدق بذهول فى جوانا التى ردت النظرة بكل براءة. وتابعت إيزابيل وهى تصفق بيديها:

والآن سيد تورنيول.. ما رأيك؟

وساد صمت مطبق، بدا خلاله أنه ينتقى كلمات رده:

رأيى.. أن هذه.. فكرة تأسر الاهتمام.. ولكن.. كما ترين.. ليس هناك مكان حتى لى هنا فى الوقت الحاضر.

فما بالك بأولاد المدرسة، وكورس الكنيسة، والممثلون الهواة.. و.. والجمهور.

فسارعت إيزابيل تطمئنه:

سنأتى جميعاً لنساعدك فى تحضير المكان، بالطبع، أليس كذلك يا جوانا؟

وبدا عليه الانزعاج:

أنت لطيفة جداً.. ولكن لدى ما يكفينى من مساعدة.. الأمر ليس مسألة تنظيف وتعليق ستائر.. فهناك تغييرات وترميمات يجب أن تتم.

قبل الميلاد؟

حسناً.. لا.. لا أعتقد.

إذن ليس هناك سبب يمنعنا من استخدام المنزل قبل الميلاد شرط أن نرتبه.. أعنى أننا بهذه الطريقة لن نتلف لك الديكور الجديد أو أى شىء آخر.

أعتقد أن هذا صحيح.

وفتح باب المكتبة، فالتفت قائلاً:

أوه.. ها قد وصلت المساعدة التى تكلمت عنها، وأظن أنها ستتدخل لنا الشاى.. أتمنى أن تكونى تحبين الشاى سيدة بدفورد؟

وانفتح الباب كاملاً، وظهرت منه فتاة، تحمل صينية كبيرة ومليئة. وتقدم برايان ليأخذها منها، وقال:

لا لزوم لأن تخدمينا.. لقد فعلت ما هو كفاية وبحسب مقدرتك المهنية.

وكانت الفتاة سامنثا بريكس، وشعرها الجميل معقوص إلى الخلف ليكشف عن رقبتها الجميلة، وظهر بعض الغبار على خدها، مما يظهر إنها كانت فعلاً تساعده فى الأعمال المنزلية. وقالت وهو يأخذ الصنينية منها:

شكراً لك.. مساء الخير سيدة بدفورد.. مرحباً جوانا. أتمنى أن تكونا تحبان كعك الجوز مع الزنجبيل.

وضحكت له بطريقة مثيرة حتى أن إيزابيل نظرت

بدهشة إلى جوانا:

هل يعلم آرثر أنك هنا؟

وبدت الدهشة على سامنثا:

لست أدرى.. وهل هذا مهم؟ فأنا لا أبدأ العمل عنده حتى السابعة مساء.. وأنت تعرفين.

فتمتمت إيزابيل..

أوه.. لا.. بالطبع.. سامحينى.

وناولها برايان فنجان الشاى.

لقد كانت سامنثا تحضر إلى هنا كثيراً.. إنها حقاً لطيفة. فأنا لا أبقى هنا كثيراً.. وهى تحتفظ بالمفتاح وتدخل العمال متى كنت غائباً.

فقالت إيزابيل بلهجة مدروسة:

أنت محظوظ لأن عندها وظيفة ملائمة.

ألست محظوظاً؟

وصبت سامنثا الشاى لجوانا وأعطتها الفنجان وهى تضحك:

أوه.. إنه لطيف.. وأنا لا أدرى متى يحضر حتى يذهب. إنه يختفى فجأة.. ومن حسن الحظ إنه غير متزوج، فلن تستطيع أية زوجة تحمل نمط حياته.

وحاولت إيزابيل أن تعيد شد انتباه برايان إلى الموضوع الرئيسى، فقد كان على وشك الموافقة قبل دخول سامنثا. وراقبت سامنثا وجه برايان وإيزابيل تتحدث، ولم يشد انتباهاً سوى كلمة.. (تمثيلية).. فقالت دون تفكير:

أوه.. هل ستقدمون تمثيلية هنا؟ فى القاعة الكبرى؟ وقال المالك الفخور:

القاعة الكبرى! إنها مخزن غلال كبير أكثر منها قاعة. ولا يمكن تدفئتها أبداً. والتدفئة المركزية لن تمدد فى المنزل قبل الربيع.

وردت إيزابيل بجدية:

إذن سنستخدم الحطب، فهذا ما كان القدماء

يستخدمونه. ولدينا الكثير من الحطب فى المزرعة.. فلا تهتم بهذا الأمر.

لا أهتم؟ سيدة بدفورد.. هل أنت جادة؟ لقد رأيتى حالة المكان.. حتى المطبخ ليس صالحاً للاستعمال. فكيف يمكن أن تقيمى أى نوع من النشاط هنا؟ ستكون مهزلة!

ونظرت إليه وعيناها تلمعان بفكرة جديدة:

بالطبع.. كان يجب أن أفكر بهذا من قبل.

تفكرين بماذا؟

بالمهزلة، سنقيم حفلة راقصة.. محترمة.. ولكن بملابس هزلية، سنجعل الناس يتنكرون بشخصيات هزلية.. أوه.. سيكون الأمر ساحراً!

وهزت سامنثا رأسها بحماس موافقة على الفكرة، بينما بدا على برايان الذهول، وارتجفت جوانا لتفكيرها بما سيقوله البريغادير بدفورد عندما يعرف بالفكرة.. ولكن إيزابيل وقد وجدت لها مشجعاً فى حماسة سامنثا، فلن يوقفها شىء الآن.. فتابعت:

سنقيم الحفلة فى وقت مبكر من المساء، فالأمهات قد يرغبن فى وضع أولادهن فى الفراش بعد تقديم العرض. إلى أية ساعة تسمحين لطفليك بالبقاء صاحيين جوانا؟

حتى الثامنة.

أوه.. حسناً، سيضطران للبقاء ساهرين لمدة أطول، ولنقل أنهما سيكونان فى الفراش عند العاشرة، فيمكن لهما إذن تقديم عرضهما عند التاسعة، ثم يذهبان إلى النوم.

وقال برايان ساخراً:

ومتى يذهب كورس الكنيسة إلى النوم؟

أوه.. إنهم كبار.. وبإمكانهم السهر.

وقالت جوانا:

أنت تريد للسهرة أن تنجح أليس كذلك؟

فقال لها بصوت منخفض حتى لا تسمع إيزابيل:

لا تحاولى تجربة مدى صبرى. أنت مرتاحة بالتفرج

على. وتعرفين أننى لن أستطيع الخلاص من هذه المرأة الرهيبة!

فردت بهمس ساخرة:

ولكن سامنثا لا تبدو موافقة معك.

وتدخلت إيزابيل:

فكر بجمال العصر الذى سنختار ارتداء ثيابه.. الثامن عشر.. وساد صمت قصير قبل أن تبدأ إيزابيل وسامنثا الحديث عن روعة الفكرة.. بينما بقى ضحية جوانا.. ثم قال لجوانا:

أرى أننى مضطر للمشاركة، فالجميع سيفعل.. آرثر، سامنثا، الكاهن، حتى أولاد أخيك. وأنت بالطبع، سأنتظر سماعك تعزفين على ذلك المثلث.

إنه القيثارة.

أوه.. القيثارة بالطبع، كم هذا سخف منى.

وقالت إيزابيل:

ولكنها لا تلعب القيثارة لأحد.

فرد ساخراً:

ولكنها ستضطر للعزف هذه المرة. أليس كذلك؟

وحدقت جوانا به.. إنه يسخر منها، إنها جسارة، إنه إزعاج، ومع ذلك فقد كانت لهجته مهددة قليلاً، متحدية.

طوال بعد ظهر ذلك اليوم.. بقيت جوانا تؤنب نفسها على جبنها أمام برايان. مع أنهما يجب أن يتشاركا بالكثير بوصفه وصياً على الولدين. وله الحق أن يتناقش معها في ذلك الموضوع. وبعد مثل هذه المقابلة غير المرضية، يجب أن يسعى لرؤيتها.. مع أنها لم تكن تتوقف لمثل هذا اللقاء.

لذلك، عندما سمعت دقاً على بابها ذلك المساء، قفز قلبها من مكانه وطلبت من الولدين بحدة أن يصعدا إلى غرفتهما ويتحضرا للنوم قبل أن تتوجه لفتح الباب.

ولكنها دهشت عندما ظهر لها آرثر بالباب آرثر ومعه الكلب بونتي وعلى الفور، قفز الكلب إلى الداخل، لتلقاه

مونيكا وقد ذهبت طاعتها لعمتها أدراج الرياح.

وقالت له وهى تأخذ منه معطفه:

لقد خرجت فى ساعة غير ملائمة لعملك، أليس هناك زبائن الليلة؟

ليس هناك من لا يستطيع الموظفون التعامل معه.. شعرت فجأة أننى بحاجة للخروج.. لقد أحسست الجو فى المطعم خانقاً.. فقد بدأ الزبائن فى شرب قهوتهم وعبق الجو بدخان السجائر والطعام البارد. ولم أستطع التحمل.. فخرجت مع بونتى.

وأدخلته إلى غرفة الجلوس، فاختار الجلوس قرب النار، وأخذ يحدق أمامه، تبدو عليه التعاسة. وجلس بونتى تحت قدمى سيده.. فتقدمت جوانا لتجلس تجاه آرثر.. وابتسمت له قائلة:

لو أنه بخمس حجمه الحالى، لكان مخلوقاً رائعاً.

ماذا؟ آه.. بونتى.. إنه كلب جيد.

وعـاد لسرحـانه من جـديد. وجلست جـوانا بهـدوء تنتظر أن يتكلم.. ولم يحرجهـا صمـتـه، فـهى تعرفـه منذ زمن بعيد، وتحس بالسرور لمجرد رؤيته يجلس قرب النار عندها، لأنه نادراً ما يترك (قصر الأمير) ليلاً.

ورفع رأسه إليها قائلاً بتجهم:

مـاذا سـأفعل يا جـوانا؟ أنا فى ورطة كـبـيرة. وهى غلطتى بالكامل.

معظم المآزق السيئة تكون من صنع يد المرء.. مـاذا فعلت أو لم تفعل، هذه المرة؟

وللحظة ظنت أنه سيجيبها، ولكنه وقف وتوجه نحو النافذة، ثم قال:

أنا أحب يا جوانا.. وهذه المرة حب حقيقى.. وهى.. أوه.. إنها لطيفة معى، وتتركنى أداعبها وأخرج معها. ولكنها لا تشعر بى.. ممكن أن أكون أى إنسـان آخر.. إنها جذابة، والجميع يريدها. وتعامل الجميع سواسية. ولن أتحمل، يجب أن تنظر إلى بجدية.. فـمـاذا أفـعل؟

الأفضل أن أكون واحداً من عدة رجال بدل أن أخسرها.

وهل تسمح لك كرامتك بهذا؟

الكرامة؟ وما هى الكرامة؟ لم يبق لى منها شىء.. ومنذ أسابيع.. فما أن رأيتها.. أنا آسف جوانا، لم أقصد أن أجىء إلى هنا لألقى عليك محاضرة.

ألم تقصد؟

حسناً، أظن هذا.. أشعر أنك الوحيدة التى أستطيع التحدث إليها بالأمر.

أعتقد أن عذابك هذا له علاقة بسامنثا بريكس؟

لا حاجة لأن تسخرى منى. فرباطة جأشك وبرودك لا يعطيك الحق بأن تضحكى على الناس.

لست أضحك عليك.. لا سمح الله..! ولكننى أحب توضيح الحقائق.

ونظر إليها آرثر، ثم ارتاحت قسمات وجهه وعاد إلى قرب النار وأمسك بيدها.

أوه يا جوانا.. أنت دائماً طيبة معى.. وتجعلينى أضحك..

فقالت بسخرية:

شكراً لك. إذن فسيدتك هى سامنثا. وأنت تحبها. وتراها كل يوم وهناك بضع منافسين يجب عليك إزاحتهم.. لا أرى فى هذا صعوبة، ظننتك فى ورطة أكبر.

إنها لا تلاحظ وجودى. أنا موجود فقط لأشعل سيجارتها وأفتح لها الباب.

وتدفع أجرها.

آه.. حسناً.. أدفع أجرها.. ربما هنا يكمن الخطأ. ربما لو كانت تعمل لبرايان تورنيول.. بدل أن تراه بين وقت وآخر.

إنه الرجل الذى اشترى العزبة.. أعتقد أنك تعرفينه.. لقد قالت لى إيزابيل أنك تعرفينه. على كل ليس هذا مهماً. فالمهم أنها مجنونة به فهى تقضى كل أوقات فراغها فى منزله. وهو لا يخرجها أبداً بل يتركها مستعبدة له هناك.

وهى تذهب إليه كالحمل. إنه يستغلها وهى لا تلاحظ وهى تظن إنه سيأخذها إلى مونتريال ويساعدها على إيجاد عمل.

لابد أنها بلهاء.. فهو حتى لا يعرف شيئاً عن المسرح.

لا.. ولكنه غنى، ومثقف، ولديه اتصالات.. اتصالات! كم هى ساذجة!

إنها متفائلة جداً.. ألم تحاول التلميح لها إنه قد لا يكون كما تتصوره؟

التلميح؟.. لقد قلت لها صراحة.. ولكنها لم تصدقنى.. فهو مخلص بها.. ولكن ليس لديه الوقت الآن.. ولن تصدق أى شىء عنه.

أتعنى أنها لن تصدق عنه شىء إلا إذا تحول اهتمامه إلى ناحية أخرى؟

أو أن تأتى إحدى صديقاته المثقفات إلى هنا.

ولكن من الصعب أن يفعل هذا.

لا.. لن يفعل.. فلا أمل إذن.

وكالعادة وجدت جوانا نفسها ممزقة بين الانزعاج وبين أن تأخذ عنه كل أحزانه. ونظرت إليه بمحبة.. وتكونت لديها فكرة.. بساطتها تذهل، خطّرها يخيف، وبدأت بسمة تتكون عند أطراف فمها، وتمتمت:

لا أمل؟ أوه.. لن أقول هذا..

ثياب صيد زهريه

مع أن جوانا كانت تتوقع زيارة قادمة من برايان تورنيول، إلا إنه لم يظهر لها طوال ما تبقى من الأسبوع، ووصلتها رسالة من محاميها يبلغها أن السيد تورنيول قد زاره وهو راض تماماً لمعرفته بأنه ممثل أخيها القانونى خلال غيابه. وهنأها على وجود رجل يحل لها المشاكل التى قد تعترضها فى رعاية الأولاد. ورمت جوانا الرسالة فى النار بغضب.

وكان على جوانا أن تذهب إلى أوتاوا لتشترى عشر نسخ من نص التمثيلية التى سيقدمها نادى الهواة، ثم أمضت أمسيتين تراجع نصوص الرواية. وكانت السيدة بدفورد قد لخصت التمثيلية كى لا تستغرق أكثر من

أربعين دقيقة، لأنها لم تستطع إجبار نفسها على التخلى عن قسم من الخطابات التى ستلقيها فى الحفلة، وبالتالى عدم تقليص بعض المشاهد المتبقية.

من الطبيعى.. أن أول شىء يجب فعله، هو تنظيف القاعة التى ستجرى فيها الحفلة.. وعليها بالطبع الاتصال به لأخذ موافقته على بدء العمل. وعندما تم هذا، ردت عليها سامنثا.. وبدت محبطة لسماعها صوت فتاة إلا أنها كانت ودية وعرضت عليها المساعدة بما اعترفت إنه سيكون مهمة عملاقة، فشكرتها جوانا.

وعندما وصلت إلى القصر القديم، وجدت سيارة برايان متوقفة أمام المنزل. فنظرت إليها بغير رضى. إنها تمثل كل شىء تكرهه: سريعة، غير مريحة، غير آمنة، وكالرجل الذى يملكها تماماً.

وقال لها صوت ضاحك بعد أن وقفت تحدق بالسيارة بعبوس:

إنها آلة مسكينة.

فقفزت واستدارت لتجد برايان يقف عند الباب وأحست أن تفكيره شفاف، فقد عرف أنها تكره سيارته. فنظرت إليه وقالت:

ماذا؟

هذا الغرض البسيط الذى أثار غيظك هو مجرد آلة.. وهى غير معادية بالمرة.

ما عدا عندما يكون شخص ما فى داخلها.

ألم تسامحينى بعد على ذلك الحادث الذى أوقعك فى الوحل؟ لقد كانت غلطتك وأنت تعرفين هذا، ولا يجب أن تحقدى على السيارة. يبدو وكأنك على وشك ركل المسكينة.

وضحك.. فقالت هاتفة:

لست طفلة.. وأنا لا أركل.

كم أنا مرتاح لسماع هذا.

وأخذ من سيارتها حفنة من المكانس، وتابع:

أرى أنك قدمت مستعدة. لقد بدأت سامنثا بالعمل. هل ندخل؟

ووجدت أن شخصاً ما قد قام بعمل كبير فى القاعة، فمعظم الأثاث الثقيل قد دفع نحو المنتصف، وأنزلت الستائر المخملية المغبرة، ووضعت كومة قرب النافذة، فحدقت سامنثا بها:

لابد أنها كانت جميلة.. أثرية حقاً.

حسب ما أذكر كانت بلون البرقوق القاتم، وكانت قديمة وبالية حتى عندما كنت أنا طفلة. وأنا مندهشة لبقاءها قطعة واحدة.

وتلمسها برايان بأصابعه:

إنها ليست قطعة واحدة، فما يمسكها لبعضها هو ثقــوب العث.. يجب أن أوصى على صنع المزيد من الستائر.. كم هذا مكلف! لم أكن لأعتقد أن السكن فى منزل قد يكون مزعجاً لهذه الدرجة.

فقالت سامنثا:

دعنى أساعدك.

وكيف ستفعلين هذا أيتها الصغيرة؟ أن تسهرى الليل تخيطى لى ستائر جديدة؟

لا.. بل أساعدك على اختيار الألوان و..

آه.. هذا أستطيعه بنفسى وما أريده هو العون الفعلى.

وتدخلت جوانا:

يمكن القول أن سامنثا كانت ذات فائدة كبيرة لك حتى الآن.

صحيح؟.. أظن أنك على حق. فى الواقع لم أكن ممتناً لها بما فيه الكفاية. أنا آسف يا سامنثا. سامحينى.

بالطبع.. فأنا سعيدة لمساعدتك.

فقالت جوانا:

وماذا ستفعل بالستائر.. أنت لن تحتاجها.. على

الأقل فى الوقت الحـاضـر.. فـإذا اشـتـريت القـمـاش، سأخيطها لك. وأظن أن هذا تقسيم عادل للمساعدة.

أنت؟ وهل لديك وقت؟

فابتسمت:

لدى وقت لكل شىء شـــرط أن أفـــعله. على كل سيبعدنى هذا عن تمارين فرقة الهواة للتمثيل، ولو بقيت فى البيت لأخيط الستائر، فالأمر يستحق.

فسألتها سامنثا:

ألا تحبين التمثيل؟

ليس كثيراً، على كل لا أستطيع.

فقال برايان:

هراء.. الأمر لا يعدو ارتداء ثياب وعرضـها.. وكل النساء يحببن هذا.

بعد أن أهان مستمعتيه، أدار ظهره ليحضر ما تبقى من أدوات التنظيف من سيارة جوانا.

وعملوا معاً بصمت.. إلى أن سمعوا، بعد وقت طويل، صوتاً من الخارج ودخل عليهم آرثر بدفورد.. فقال له برايان:

مرحباً.. لم أسمع سيارتك.

لقد قدمت سيراً.

فسألته جوانا:

أوه.. هل جئت عبر فناء الكنيسة؟ كنت أتساءل عما إذا كانت البوابة لازالت فى مكانها.

لازالت هناك.. ولكن العشب قد نما عليها وأصبحت تقريباً صدئة. ودخلت عبرها بسهولة والممر من الناحية الأخرى ملىء بالأشواك التى تبلغ الخصر طولاً.

وقالت جوانا وكأنها تحلم:

كنا نذهب عبرها إلى البحر.. كنا بالطبع نتعدى على حق المرور ولكن السيدة أندرهيل لم تكن تمانع أبداً. كنا نأخذ معنا الطعام إلى السلم الحجرى.. هل تذكر يا آرثر؟

أجل.. هل ستتأخرين كثيراً يا سامنثا.

وكان فى رده فظاً.. وتحركت سامنثا بمضض:

كنت ســـأذهب منذ زمن.. ولكننى كنت.. هكذا.. أتساءل.. ألا تريد مساعدة فى اختيار الستائر برايان حبيبى؟

وبدا الألم على آرثر، ووجدت جوانا نفسها تشد على عصا المكنسة حتى سبب لها علامة حمراء على راحة يدها.. ورفع برايان ذقن سامنثا بأصبعه، وقال مداعباً:

أتظنين أن بإمكانك مساعدتى يا قطتى؟

وقاطعته جوانا:

ستحتاج لأن تقيس الستائر، وتتأكد من طولها الصحيح: وإذا أردت المخمل ثانية، يجب أن أذهب معك.

وبدا على آرثر الانزعاج وكأنها خانته وانضمت إلى معسكر الأعداء.

ونظرت سامنثا، فصعقت.. لم يكن ذلك التعبير

الناعم أبداً على وجهها، بل كانت تحدق بها بحقد غير مقنع. ولكن هذا ليس الذى صدم جوانا، بل كانت النظرة المحتسبة الراشدة التى زحفت إلى عينيها، على عكس نعومتها المعتادة. فوقعت المكنسة من يدها، والتقطها برايان:

هذا لطف منك جوانا.. سأقبل.. لو سمحت.. متى ستكونين حرة؟

بأقرب فرصة، ذلك أفضل. وبما أن ذلك سيكون لأجل الحفلة، فسيعطينى البريغادير برفورد فرصة.. ما رأيك فى الغد؟

رائع.. ولكن بعد الظهر.. وربما أقنعك بأن تمددى فترة بقائنا معاً لنتناول العشاء.

واحتجت جوانا بالأولاد وعشاءهما ووضعهما فى الفراش، فقال ساخراً:

أنا واثق أن سامنثا ستكون مسرورة للعناية بهما.. إنها تحب مساعدة الصغار.

وبدأت جوانا القول:

ولكننى.

فقاطعها آرثر:

بالطبع يجب أن تذهبى. بإمكانى المجىء بالأولاد ووضعهما مع إيزابيل إلى حين عودتك. ولا أظنكما ستتأخران كثيراً. فهذا شىء قليل لتعمله لقاء فكرتها المجنونة، فلتتحمل قليلاً من المسئولية.

ولكننى لا أحب أن يتضايق أحد من أبناء أخى..

لا تتحججى.. أشكرى الله على قضاءك ليلة بعيدة عنهما.. وكانت على وشك الرفض عندما لمحت وجه سامنثا المتشدد المتوتر.. فرفعت رأسها وقالت وكأنها ستذهب إلى ميدان معركة:

حسن جداً.. سأفعل.. وبإمكانك آرثر أن تقول لإيزابيل أنك طوعتها كمربية أطفال.. فأنا لن أفعل.

لمعظم ما بعد الظهر معه كان الحديث كله عن العمل.

ولكنهـا كـانت لا تزال تحس أنه من تحت تلك النظارة السوداء التى يرتديها كان يضحك منها.. إنه لا يعجبها ولا تثق به وممتـعـضـة جـداً من تكليف ريتـشـارد له بالوصاية على الولدين. وسألها:

لماذا تبتسمين؟

من أفكارى.

وهل هى مضحكة؟

لا.. ليس فى الواقع. ولكن من السخرية أن ريتشارد لا يزال يظننى قاصراً غير مسؤولة.

لماذا؟

لماذا؟ ألم تلاحظ؟ لأننى لست قاصراً.. فأنا راشدة، ومستقرة، وسئمة. وأنا أكبر من أن أدعى طفلة. لا أصغر.

فقال لها بهدوء:

أنت طفلة مكتملة.

وأدار الحديث فى اتجاه آخر. ولم يعودا إلى الحديث الشخصى إلى أن كانا على طاولة العشاء. ولاحظت أن اهتمامه قد تغيرت نوعيته، فاتجهت إلى صمت مرتبك.. وقال معلقاً على بعض كلامها:

وهل ما يظنه بك الآخرون مهم جداً؟

ليس الجميع.. بعض الناس فقط.

مثل آرثر بدفورد؟

إنه واحد بين آخرين.. أصدقائى..

وقال بغضب:

أصدقاء! أثرياء متطفلون. أنك تتركين الناس يتباهون عليك. بل أنت تشجعينهم. ريتشارد.. آرثر وعمته المجنونة. أنت لست مدينة لهم بشىء. فلماذا تتركين لهم فرصة التدخل فى حياتك؟

لم أدرك هذا من قبل.

أوه.. هذا هراء.. يجب أن تعرفى هذا. فأنت

تركضين بين يدى آل بدفورد وكأنك خادمتهم المستعبدة. فلماذا بحق الله؟ نحن لم نعد فى القرن الثامن عشر، ولا هم أسياد القرية.

وزدت عليه ببساطة:

ولكننى أحبهم.

حب! أنت ترتمين بين أقدامهم، وتقولى لهم دوسوا على ويفعلون.. يجب عليك أن تأخذى موقفاً حاسماً. قررى ما يجب أن تفعليه لكسب معيشتك، ولا تتورطى معهم خارج هذا النطاق.

وكيف؟

يا إلهى.. وكيف أعرف؟ أنت التى تعرفين بالخبرة.. أليس لك دفاعات فى حياتك بالمرة؟

لم أتعلم أن أقف بعيدة عن الناس الذى أهتم بهم. ولست أدرى ما الذى يجب أن أتعلمه.

وصفق يده فوق الطاولة.

أنت إذن ضائعة.

ولم يكن هذا موضوع قد يريد أن يتركه، فبعد أن أوصلها إلى منزلها وقف مستنداً إلى طاولة المطبخ يحدق بها.. ثم قال:

أتعلمين ما قاله لى ريتشارد عنك؟

شىء قد لا يرضينى.

ولكنه أعتقد إنه إطراء لك.. ألا تريدين أن تعرفى؟

أنت تجعله يبدو رهيباً.

لقد قال أنك فتاة صغيرة هادئة. واعتقدت من كلامه أن ليس لديك التفكير أو الإرادة الخاصة بك، وأنك لست ذكية.

يمكن أن أصدق أن هذا ما قاله.

ولكن لا يجب أن تصدقى هذا. إنها صورة غبية تلك التى للناس عنك هنا. ولا يجب أن تدعيهم يقنعونك بها.

هذه الجدية الجديدة حيرتها. فمن ناحية كرهت

اعتقاده أن له الحق فى التطفل على حياتها الخاصة، ومن ناحية أخرى وجدت صدقه واهتمامه خطراً قليلاً. فمما يقطع الأنفاس أن يجد المرء نفسه موضوع اهتمام مفاجئ من شخص آخر. فقالت بلطف:

لا أظنك تعرفنى جيداً لتصدر على الأحكام.

بل أعرفك.. أعرفك جيداً.. أكثر مما يعرفك جيرانك. فأنا من حاولت وضع العصى فى دواليبه لأجل الأولاد.. أتذكرين؟

وهل تتوقع أن أعتذر؟

يا إلهى، لا! لقد كنت على حق.. ولكن الشىء الذى لا أفهمه لماذا غيرت مسارك من الغضب فجأة إلى التساؤل عما إذا كان ريتشارد على حق وأنك قد لا تكونى صالحة لرعاية الأولاد؟

وكيف عرفت أننى تغيرت؟

لقد قلت لك.. أنا أعرفك جيداً.

ووضعت يداها على خديها:

ولكنك لا تعـرفنى.. لا يمكن. أعنى أننا لـم نلتق من قبل. هل كنت تتجسس على؟

ليس أكثر مما كنت تتجسسين على.

فأحمر وجه جوانا:

أوه.. إنهـا الشـائعـات.. ولن تخـبـرك الشـائعـات الحقيقة. فأنا لا أعرف شيئاً عنك. فمثلاً: لست أدرى لماذا تضع مـثل هذه النظارات السـخيفـة. إلا إذا كنت تقـصـد منها أن تظهر كنجم سينما وتبهر سامنثا المسكينة.

هل قلت أنك لا تملكين أية دفاعات؟

لا أملكها ضد الناس الذين أحبهم. فأنت على حق.. أنا لست بحاجة لمثل هذه الدفاعات ضد من أحبهم.

مـثل آرثر بدفـورد؟ أنت سليطة اللسـان وعنيـدة، إذا كنت تريدين مـعـرفـة شىء عن نظارتى فـمـا عليك سـوى السـؤال. أو سـأقـول لك. لقـد حـدث لى حـادث مع

المتفجرات، وأصيبت عينى بضرر.

فشهقت بارتجاف وبدأت تتمتم:

أنا.. آسفة.. لم أكن.. أعلم..

ولكن كان بإمكانك أن تعرفى.. أليس كذلك؟ بدلاً من أن تحيكى حولى القصص الخرافية.

لقد قلت إننى آسفة.

وشهقت بعدما أطفأ النور:

ماذا؟..

بما أنك لا تحبين نظارتى السوداء فسأخلعها، ولكن لسوء الحظ لا أستطيع تحمل الضوء بعد.. وبإمكانك صنع القهوة فى الظلام.

أوه لا تتصرف كالأطفال.. فأنا لن ألعب فى مثل هذه الساعة.

ألست تتلاعبين بحق الله؟

وجذبها من ذراعها بقسوة وأخرسها بفمه. كان

غاضباً ولكن كان فى قبلته أكثر من الغضب. وكأنه كان يرتجف من رغبة جامحة فيه لأن يأخذها بين ذراعية. ولم تبدى جوانا أى مقاومة، وقد أحست برأسها يتمايل. وتركت نفسها تغرق فى إحساس جديد عليها. فأغمضت عينيها وتركت أصابعها تعبث بشعره. وتنفس بعمق ثم أبعدها عنه.

وحدقت به بذهول، ويدها لا تزال تقبض على طرف سترته واكتشفت، بعجب، إنها لم ترغب فى أن يبعدها عنه هكذا، ليس من حقه أبداً أن يجعلها تشعر بالدفء والحياة كما لم تشعر بهما فى حياتها ثم يتركها ويدفعها عنه. ومدت أصابعها لتتلمس وجهه.

وتراجع وكأنه لُدغ، وأمسك بيدها بقوة للحظة ثم أبعدها عنه. وقال لها:

أنت بحاجة لأن تتعلمى العناية بنفسك قبل العناية بآرثر بدفورد.. وتلك القهوة تغلى على النار.

وتركها ترتجف خجلة من نفسها بشكل غريب.. ما

لم تفهمه هو ما الذى فعلته لتغضبه؟

فى الأيام التى تلت وجد الولدان أن عمتهما تائهة الفكر. وكانت مشغولة جداً بالطبع.. ولكنها دوماً كانت مشغولة من قبل دون أن تنسى أين وضعت كتبهما، أو سماحها لهما بالبقاء ساعات صاحيين دون تذمر. وأحياناً كانا يجدانها تحدق فى الفضاء دون حراك.

بعد ظهر يوم السبت، وكان يوماً رائعاً، وبينما كانت جوانا تجلس إلى ماكنة الخياطة تخيط الستائر، تسلل الولدان من المنزل من باب المطبخ.

ومع أن صوت الماكنة القديمة يطغى على أى صوت، فقد فضل بوب، بتفكير طفولى، أن يخرجا على أطراف أصابعهما يحملان أحذيتهما فى يديهما، وأغلق الباب خلفهما بحذر مبالغ فيه، ثم انطلقا فى الممر الموحل إلى الشاطئ بأسرع ما يستطيعان.

وبالطبع، كان تفكير جوانا، الجالسة وسط بحر من المخمل الأزرق الداكن، بعيد جداً عن أولاد أخيها. وكانت

إيزابيل، والتى عبرت عن دهشتها عندما عرفت بتبرع جوانا لخياطة ستائر عزبة (الريح).. تنوى زيارتها لتستشيرها ببعض أمور الحفلة. وخلال ذلك الوقت ستمرر، وبالتأكيد، بعض الأوامر لها وبعض المهمات الأخرى.

ووصلت إيزابيل بفكرة حماسية جديدة، إضافة إلى الخطابات.. فلقد تبادر إلى ذهنها، والقاعة كبيرة، وأثاثها خفيف، فلماذا لا تملأها بأغصان الصنوبر؟ الأشجار فى المزرعة يجب أن تقطع فى فترة الميلاد على كل الأحوال. فالبريغادير بدفورد معتاد إلى إعطاء كل عائلة من موظفيه شجرة فلماذا لا تقطعها باكراً قبل عشرة أيام، وتزين القاعة بها وتزينها بالألوان والأضواء.. ألن يكون هذا جميلاً؟

وكم عددها؟

دزينة تقريباً.. فالقاعة كبيرة كفاية.

دون شك. كم تتوقعين أن يكون حجم الأشجار؟

أوه.. حجم لا بأس به بارتفاع عشرة إلى اثنى عشر قدماً على الأقل.

يا إلهى.. وأين ستضعينها؟

أوه.. فى أوعية زهور.. ستجدين لها شيئاً.. أتعلمين.. هذا المخمل رائع.. كم ثمنه؟

لست أدرى.. لم أدفع أنا، حتى أننى لم ألاحظ.

إنه جميل.. كذلك البطانة.. إنها قماش ناعم، ولونها رائع.. الرجل له ذوق جميل، أم عاونته فى الانتقاء؟

لا.. فهذه ستائره.. وعليه أن يعيش معها، ولا علاقة لى بها.

فردت إيزابيل بدهشة:

آه.. لا حاجة لأن (تأكلى رأسى).. فهذه من الأشياء التى لا أتصور أن يفعلها الرجال.. هذا كل شىء.

وردت جوانا من بين أسنانها:

إنه حر.

هو كذلك بالفعل.. هل تظنين إنه سيبقى فى العزبة؟

إنه لا يبدو وكأنه يرغب أن يكون من السكان، إذا كنت تفهمين ما أعنيه.

ألم يعرض المشاركة بالكورس!

فضحكت إيزابيل:

لست أدرى ما هو حقه فى أن يكون متكبراً هكذا. مع ذلك، أراهن أنه سيرتدى ثياب التنكر. فالجميع سيفعل حتى المسكين جاك.

يا إلهى.. وماذا..؟

أوه.. لا شىء مريع.. فلن يتحمله. سيرتدى ثياب صيد زهرية قديمة.

هل يعرف بهذا؟

ليس تماماً، أو بعد. ولكننى سأخبره فى الوقت المناسب.

ألم تبيعى شيئاً من تذاكر الحفلة بعد؟

لقد فعلت، مدير المصرف الذى يتعامل جاك معه طلب عدة بطاقات، واضطررت إلى كتابتها باليد، لماذا لا تطبعى بعضاً منها. وافتحي حساباً فى الدفتر لها.. أنت تعرفين ما تفعلى.

ولكن لا أظن أن لدى الوقت.

أنت دائماً تجدين الوقت لما تريدين فعله.

ونظرت إيزابيل شذراً إلى الستائر المخملية. فأجابت جوانا:

حسناً يا إيزابيل.. سأطبع لك الدعوات بكل سرور، ولكن عليك أن تجدى من يبيعها لك. وستحتاجين إلى ملصقات.

لقد فكرت بهذا.. أفريل ستجعل الأولاد يرسمون شيئاً. ثم تختار ما يناسب.. أما بالنسبة للبيع فقط أعطيت رقم هاتف المكتب، وأخشى أن يضطر كل من يتواجد هناك إلى التعامل مع البيع. ولم أدرك أنك قد لا ترغبين بهذا.

الأمـر ليس هكذا. كنت آمل أن أنهى بعض أعـمـال المكتب خـلال تنفيـذك هذا المشروع. ولكننـى أرى أننى لن أستطيع إنهاءها.

لن يمانع جاك، لقد قلت له أن الأمر لن يستمر أكثر من فـتـرة الميـلاد. على كل الأحـوال سـتكون راحـة لك أن تقومى بأشياء غير تلك الحسابات والأعمال المكتبية. طوال اليوم.

ولكننى لا أعمل فى الحسابات طوال اليوم.

إذن تقومـين بدفع الفـواتير وقراءة الإعـلانات.. على الأقل أفكارى أكثر حيوية.

وسمعتا دقاً عنيفاً على الباب فسارعت جوانا لتفتح وتجـد برايان يرفع يده على وشك أن يدق البـاب ثانيـة، وبعنف فجفلت وقالت:

نعم؟

أنت أكثر امرأة مهملة وغبية التقيتها فى حياتى.

أنا.. أنا آسفة؟

الأفضل أن تكونى آسفة. وستكونى أكثر آسفاً لو حدث هذا مرة أخرى.

مثل ماذا؟

أن تتركى هذين الولدين يخرجان لوحدهما.

ووقف خلفه، جسدان مرتجفان قلقان وكأنهما يقفان على قمة القطب. وكاد قلب جوانا يخرج من مكانه لهما. وركعت على ركبتيها وأخذتهما بين ذراعيها، بينما وقف برايان يراقبها بمرارة.

أعتقد أنك لم تكونى تعرفى أين ذهبا.

وفتحت فمها لترد عليه، فلاحظت أن مونيكا على وشك البكاء. فوقفت وقالت بغيظ:

لا.. لم أكن أعرف. وأعتذر إذا كانا قد اقتحما منزلك ثانية.

اقتحما..! هكذا بالفعل. ولكن السلالم الحجرية التى

تقود إلى البحر. كان يمكن أن يقعا بسهولة ولا يدرى بهما أحد.

فشحب وجه جوانا.. وقال بوب بصوت رفيع متحدى:

كان يمكن لأحد أن يعرف، بيت وستان مردوك يعرفان أين نحن.. ولا يمكن لنا جميعاً أن نقع ونضيع.

وقال برايان بلهجة معتدلة:

ربما.. ولكن أكان يمكن لهما أن يجراك من حفرة ما لو وقعت فيها؟ وفكر بوب بالأمر، وأصابعه تتلوى فى يد جوانا، ثم قال:

لا..

فابتسم برايان:

جيد.. تذكر هذا إذن.. ولا تفعل ما فعلت ثانية.

وللحظات حدق بجوانا دون تعبير على وجهه.. وكان يضع نظارته السوداء.. وبدا وجهه المقنع بعيداً ومتحفظاً، ومات ما كانت ستعتذر به على شفتيها. وكأنه الديان

الذى يلوح فى الكوابيس، نظر إليها ببرود واتهام. وأحس الطفلان بإدانته لها، فاحتضناها.

وقال لجوانا:

ولا تفعلى هذا مرة أخرى، أو سأضطر إلى فعل شىء حول الأمر.

فرفعت رأسها لتهديده.. ولكنها لم تقل شيئاً. وخرجت إيزابيل من الغرفة، غير قادرة على كبح فضولها أطول، ووقفت خلفها. ثم تقدمت محاولة التخفيف من توتر الوضع.

هل خالف بوب ومونيكا أوامرك يا جوانا؟

لا.. لا بالمرة.

وتنفس بغضب:

وأعتقد أنك ستتركينهما وشأنهما وكأن شيئاً لم يكن؟

فردت عليه بهدوء رهيب وهى ترتجف من الغضب:

هذا شأنى أنا.

هذا مجرد اختلاف فى الآراء.

وحاولت إيزابيل ثانية أن تنجدها:

لا أظن حقاً سيد تورنيول أن بإمكانك قول هذا.. فجوانا مسؤولة عن الولدين على كل الأحوال.

هى فعلاً هكذا.

وتابعت المسكينة إيزابيل تقول دون أن تعرف الحقيقة:

وإذا كانا قد أتلفا ممتلكاتك فيمكن أن يعتذرا، ولا يمكن أن تلوم جوانا. فليس من السهل على امرأة أن تربى ولدين بهذا السن.

فأدار نظارته السوداء إليها. وأجاب بأدب:

لا؟ ربما إذن هما بحاجة إلى أب يعتنى بهما؟

واستدار على عقبيه.. وذهب.

ما أن ذهب، حتى أدخلت إيزابيل المرتجفة الولدين إلى قرب النار.. كانا باردين وموحلين.. ولكن البلل الذى كان فى ثيابهما كان يبدو بسبب الضباب وليس بسبب مياه البحر. وتبعتهم جوانا وهى ترتجف أيضاً. وأمرت الولدين بأن يصعدا ليخلعا ملابسهما ويستحما.

وما أن غطسا فى الماء الساخن حتى استعادا روحهما المرحة وسمعتهما جوانا يضحكان. فدخلت المطبخ وبدأت تحضر لهما الحليب الساخن. ولحقت إيزابيل، قائلة:

واو..! إنه لا يراعى كلماته أبداً.. أليس كذلك؟

فردت جوانا باختصار:

لا.

أهناك شيء أستطيع فعله؟ أقطع الخبز أو أى شيء؟

سيكون هذا لطف منك.. ولكن لا تحمصى الخبز.

من السخرية أن يضبط الولدين يفعلان ما طالما منعتيهما من فعله يوم أن استطاعا الهرب منك.. فهما عادة طيبان.

وتقدمت منها لتضع ذراعها حول كتفي جوانا:

والآن لا تقلقى مما قاله ذلك الرجل غير المحتمل. على كل الأمر لا يعنيه.

فهزت جوانا رأسها:

كان يمكن أن يغرقا.

هراء. كان يمكن أن يتبللا، ولكن حتى هذا غير مؤكد. فالأطفال لديهم إحساس مرهف لحماية نفسهم. فلم يغرق أحد من أولاد مردوك حتى الآن.

ولكنهما أكبر سناً وأضخم جسماً، وعاشا هنا طوال حياتهما.. ومونيكا لازالت صغيرة..

وهل هذا سبب لتمضى وقتك تتوقعين أحداثاً مأساوية؟ ستكبر. ولن يصيبها أكثر مما يصيب الأولاد من سنها، حاولى أن تكونى منطقية.

ليس من السهل أن تكونى منطقية مع أولاد الآخرين.

وهذا سبب إضافى للمحاولة.. وإلا فسوف تعقدى المساكين.

أوه.. يا إلهى.. وأنت أيضاً؟

وتوقعت تماماً أن ترى برايان مرة أخرى بعد أن يهدأ، ويقرر ما هى الخطوات التالية. وحضرت نفسها للقاء آخر بكل ما تستطيع جمعه من شجاعة. وعندما لم تسمع عنه أى شىء، ازدادت خوفاً. ولم تستطع أن تخلص نفسها من الشعور بأن أزمة حادة تملكت علاقتهما وإنه لن يسمح لوصايتها عليهما أن تمر هكذا دون اعتراض. وفى صباح يوم الجمعة الذى تلا.. وقع

الانفجار.

أعلمتها رسالة من محامى ريتشارد أن على بوب أن يذهب إلى مدرسة داخلية. ويمكن له أن يبدأ الدراسة فى مدرسة الكاتدرائية المحلية فى المنطقة فى شهر كانون الثانى القادم. وهو محظوظ جداً لحصوله على مقعد فى منتصف الموسم الدراسى، ومما لا شك فيه أن عليها شكر السيد برايان تورنيول الذى كان تلميذاً سابقاً فى تلك المدرسة لأنه هو من رتب له هذا الأمر.

وذبلت جوانا، فتصرف بوب الملائكى لم يغب عن ملاحظتها وهى تعرف السبب. فهو يعرف إنه قد أساء التصرف، وخائف، ليس من العقاب، بل من الإساءة لها. وإرساله إلى مدرسة داخلية قد يبدو له العقاب الأكبر.

الولدان يعيشان فقط على أمل عودة والدهما إلى المنزل.. وهى تقدم لهما كل مساعدة تستطيعها بإمكانها دائماً أن تقول لهما.. انتظرا قدوم والدكما لتعرفا رأيه.. مثلاً.. مونيكا تريد كلباً.. إنها تحب الكلاب وتلتصق دوماً

ببونتى.. ولكن بونتى كلب ضخم وخشن التصرف بالنسبة لها. ولكنها لا تستطيع أن تأتى لها بجرو تربيه لأنها لا تعرف ما إذا كان ريتشارد سيوافق أم لا؟

وقالت لها إيزابيل وهما تتحدثان بالموضوع يوماً:

ولكن ريتشارد لن يمانع. لقد كان دائماً يحب الحيوانات.

أعلم هذا. ولكن لو أتى فى الربيع وأراد أخذ الولدين معه فى ترحاله، فلن يحب أخذ كلب أيضاً. فالأمر مكلف جداً.

وهكذا لن تحصل المسكينة على كلب؟

إذا لم يحصل شىء غير متوقع.. سأهديها جرواً فى الميلاد.

وابتسمت جوانا.. يجب أن تجد طريقة تعلم أخاها أنها قررت إدخال كلب فى حياة ابنته، وإنها لن تستسلم لرغباته دون مقاومة.

ومن أين ستحصلين على الجرو؟

لم أفكر بهذا بعد.. لقد قررت لتوى. والأفضل أن أحصل عليه من شخص أعرفه بدلاً من محل بيع حيوانات. وسأسأل:

وقالت إيزابيل بحماسة:

اتصلى بآرثر الآن.

ولكن جوانا ترددت.

لا.. شكراً لك.. سأذهب بنفسى إلى هناك قريباً.

الأسبوع الذى تلا كانت منشغلة تماماً. فقد طبعت الدعوات وسلمتها وقبضت ثمنها طوال النهار، وخيطت أزياء الأولاد وزيها فى الأمسيات.

أحد زبائن آرثر وجد لها جرواً لكلب صيد ذهبى اللون، وما عدا ذلك فقد تخلت عن مشتريات عيد الميلاد.

ووال ما مر من وقت لم تلتق أبداً ببرايان تورنيول، ما عدا مرة أو مرتين وبالصدفة. وكان دائماً مع مجموعة

من الناس أو يتأبط ذراع سامنثا.

ولعلمها أنها جبانة، فقد كانت تتجنب المواجهة معه. وكتب لها مرة واحدة عندما اعترضت لدى المحامى أنها لا تملك المال الكافى لتغطية مصروف بوب فى المدرسة الداخلية، وباختصار. وأرسل لها صورة حكمين من المحكمة يقضيان بأنه هو المسؤول عن مصاريف الولدين.. وانتابتها رغبة فى أن تذهب لتصرخ فى وجهه قائلة إنهما ليسا بحاجة لإحسانه. ولكن الاقتناع الكامل لديها بإنه سيقول لها أن لا شأن لها بالموضوع قد منعها من أن تفعل.

ولم تشاهده ثانية قبل يوم الحفلة الراقصة. فقد وصلت جوانا إلى العزبة لتجد برايان يتصارع مع شجرة ميلاد عملاقة. فصاحت:

ماذا تفعل..؟

وركضت نحوه لتمسك بعض الأغصان وتوازن الشجرة له.. وأوقفا الشجرة مستقيمة ثم قال لها:

شكراً لك.. لقد بدأت فجأة تتصرف لوحدها.. إنها الأخيرة والأصغر. وفكرت أن أساعد بإدخالها. أوه.. لقد علق بى الصنوبر فأصبحت كالقنفذ الأخضر!

وسحبت جوانا يدها عن الشجرة قالت:

أرى هذا. ماذا دهاك لمحاولة حملها لوحدك؟

لقد كان الأمر على ما يرام ثم بدأت تترنح.. أستطيع القول إنها جميلة.. لم أحصل فى حياتى على شجرة ميلاد مثلها.

وأحست بشفتيها تنفرجان عن ابتسامة بالرغم من استيائها منه:

أنا سعيدة لتمتعك بها. لقد توقعت أن أجدك بحالة هيستريا.

صحيح؟ وهل أبدو من النوع الهستيرى؟

لا.. ولكن خطط إيزابيل تهز أصلب الأعصاب. ولقد هرب منها زوجها إلى المقهى.

رجل متعقل. ولكننى لن أفعل مثله. سأتمتع بوقتى.. يبدو المكان فى الداخل وكأنه غابة استوائية. وهناك كهربائيان يحاولان وضع الأنوار على كل الأشجار. أدخلى وانضمى إلينا هناك سيدة من الجمعية ترش الرذاذ الأبيض على كل شيء.. تعالى..

وتغلب على إرادتها فتبعته.. ولم يكن قد بالغ فى الوصف.. فاخترقت طريقها بين الأشجار، والأغصان. وأكوام من الزينة والكابلات والشرائط. وأحست بالامتنان ليده التى تقودها.

ونظرت إليه:

هذا فظيع.. ماذا فعلنا لمنزلك؟

فابتسم بخبث:

لم يكن منزلاً بعد.. وربما هذا كله سيجعله منزلاً، على كل الأمر لا يهم وهى ليست غلطتك، فلا تبدين كالمذنبة هكذا.

لا أستطيع.. ولدى فى السيارة أكوام من أزياء

التمثيل وأكواب الشاى، والله يعلم ما غيره.

فضحك:

حسناً هذا لا يبدو لى غير ممكن التصرف فيه. الشاى وأغراضه تدخل المطبخ، والأزياء فى الطابق العلوى، فالسيدة بدفورد قد أفردت بضع غرف للملابس.. سوف أرشدك إليها وأوصل الأزياء إلى فوق. هل جئت بآلتك معك؟

لا.

وبدا على وجهه الضحك ولكنه لم يعلق:

تفكير راجح منك!

وبدا لها كم هو أكثر وداً وأقل ترهيباً عندما لا يرتدى نظارته فسألته:

هل تشعر بتحسن فى عينيك؟

واحمر وجهها بعد أن تذكرت آخر مرة تحدثا فيها عن عينيه وبدا إنه هو أيضاً تذكر ما حدث. فأجابها

بمرح:

بالكاد أحتاجه الآن. مع إنني لازلت لا احتمل الضوء الساطع.

وأحست إنه يداعبها فرفعت رأسها وقالت:

كم هذا أمر غير ملائم.

إذن فلنحضر تلك الأزياء. هذا إذا كنت تستطيع تحمل ضوء النهار.

وسارت أمامه خارج الردهة وهى تسمع ضحكه الخفيف.

الأمسية كانت رطبة وباردة.. وبدأت العتمة عند الثالثة، وتصاعد الضباب البارد من حول التلال، وبدا لها أن بوب ومونيكا لن يخيبا أملها بهما، فقد أخذ بوب دور صاحب الفندق فى تمثيلية الميلاد ومونيكا دور الملاك، وكلاهما لم يعانيا أبداً من رهبة المسرح. ووصلت بهما إلى العزبة، ولم يكن برايان هناك.. ولكن سامنثا كانت تقوم بتقديم الخدمات للمشتركين الواصلين.

ومال آرثر إلى أن يغلق المطعم تلك الأمسية، تاركاً غرفة الاستقبال والمقهى فقط للزبائن الدائمين. وشارك مع الطاهى وسامنثا، بالطبع، فى العمل فى العزبة، وقال آرثر لجوانا:

الحقيقة أن هذا كله قد خرج من أيدينا. ولا أعتقد أن إيزابيل تعرف ما سيكلفها.. وليس فقط إنها لن تجنى المال منه بل هى ستخسر أيضاً. هل تعلمين كم تذكرة باعت؟

لقد طبعت لها ستماية بطاقة.. ولكننى لا أعلم إذا كانت قد باعتها كلها.. أنت تعرفها أكثر منى.

بالطبع أعرفها.. إنها تقدم تذكرة مجانية لكل من يقرضها مفك براغى.

تقريباً.

إنها محبوبة.. ولكنها مجنونة.

موضوع حديثهما، صعدت السلم وهو يتكلم عنها ودخلت إلى غرفة الطعام يتبعها برايان الذى التفت إلى

جوانا وقال مخاطباً آرثر:

أوه.. لقد وجدتها أخيراً يا آرثر؟ إنها مجنونة تماماً.. أوافق معك.

فاحمر وجه جوانا:

من.. أنا؟

فضحك آرثر:

لا يا حبيبتي.. ولكن عمتي. أنا مستعد لأن أراهن على خسارتك يا إيزابيل.

صحيح؟ حسناً.. لقد كلفتني أكثر مما توقعت، ولكن لابد أن نكسب ما لا يقل عن خمسماية إلى ستماية دولار.. والسيد تورنيول تبرع مشكوراً بأن يرفع أي مبلغ نكسبه إلى الألف.. وهذا هو هدف الجمعية.

فقالت جوانا مذهولة:

ماذا؟

وقال آرثر:

هذا ثمن مرتفع يدفعه المرء لقلب منزله رأساً على عقب.

ومرت لمحة انزعاج على وجه برايان:

أوه.. هذا هراء.. إنها تجربة فريدة من نوعها.. متى تظنون أن العرض سيبدأ؟

فقال آرثر ساخراً:

أو إذا أردت التأكد، متى ستنتهي؟

فزجرته عمته:

لست مضطراً للبقاء.. تستطيع أن تأكل وتشرب.. فالحفلة غير رسمية بالمرة. أريدها أن تكون حفلة حرة. ستجد أنني وضعت المقاعد في مجموعات صغيرة بدل وضعها وكأنها في باحة الكنيسة، فالهدف هو تمتع الناس بالحفلة.

فضحك:

لا بأس إذن. متى ستبدأ في التمتع؟

وتدخل برايان:

كما عرفت.. ستخلى القاعة لأجل الرقص عند التاسعة والنصف. على الأقل هذا ما قاله شبان الفرقة الموسيقية.

وقال آرثر وهو ينظر إلى ساعته:

جيد.. سأتذكر هذا. لقد أصبحت الآن السادسة.. الأفضل أن أذهب لأغير ملابسى.

فقالت إيزابيل:

وكذلك أنت جوانا.. هل أحضرت ثوبك معك أم ستذهبين إلى منزلك؟

ثوبى معى. فأنا أساعد فى تمثيلية الأولاد.. ولا أظن أننى سأرتديه قبل نهاية البرنامج.

إذن لن تتمكنى من بيع كتيبات البرنامج.

فتدخل برايان:

أنا واثق أن سامنثا سيسعدها مساعدتك.. إنها

تموت شوقاً لعرض نفسها فى ثوب التنكر منذ أن وصلت.

فضحكت إيزابيل:

أنا واثقة من هذا.

بحلول السابعة النصف.. أصبحت التمثيلية جاهزة للعرض. ورافقت جوانا وأفريل الأولاد إلى المسرح فى منتصف القاعة، وأطفأت الأنوار ما عدا نور المنتصف وزينة أشجار الميلاد.. وجلست جوانا قرب أحد المداخل، تراقب بوب ومونيكا.. وأحست بحركة خلفها وقال برايان من فوق كتفها:

مساء الخير.. أظن أن ولدينا فى هذه التمثيلية.

فنظرت من حولها لترى ما إذا كان قد سمعه أحد وقالت هامسة بغضب:

إنهما ليسا (لنا).

إنهما لنا بالطبع.

هذا شيء يجب أن نناقشه، مع أشياء أخرى. مثل

أمر دفع تكاليف مدرسة بوب..

ليس الآن يا فتاتى الطيبة.. تعالى لنتحدث فى أى وقت.. أهلاً وسهلاً بك.

حسناً.. سأفعل.

وأضيئت الأنوار بعد انتهاء الرواية بنجاح. وسارع الأطفال للصعود إلى غرف الملابس. وحاولت جوانا التخلص من يد برايان التى منعتها من اللحاق بالأولاد.

يجب أن أذهب..

لا.. لا يجب عليك أن تذهبى.

بلى.. يجب.. لقد وعدت أن أساعد أفريل فى خلع ملابس الأطفال وتنظيف كل شىء.

فترك يدها، وقال وهو ينظر إليها:

أوه.. إذا كان هذا كل شىء.. سوف تعودين؟ ولن تهربى مع الأولاد؟

أعدك.

بوب ولد رائع.. وعلى أن أعرفه أكثر. أعتقد إنه يشابهك. أوه.. هيا اذهبى والعبى دور المربية.. ولكن أحذرك.. لو حاولت الهرب.. سألحق بك وأعيدك إلى هنا.

فلمست كتفه برقة:

لا تقلق.. سنفشل معاً متحدين.. وأعتقد أن أمامنا فشل كثير هذه الليلة.

صحيح؟ يا إلهى.. ماذا يخبئ لنا القدر فى هذا البرنامج؟

حسناً.. الكورس الغنائى هو التالى. ثم تمثيلية الهواة ثم أنا.. وبعدى الهواة مرة أخرى.

لن أفوت دقيقة من البرنامج.. اذهبى وأنهى عملك.

وفكرت جوانا أنها ستكون محظوظة لو استطاعت ارتداء ثوبها فى الوقت المحدد. فابتسمت له وتركته.

كانت إيزابيل محقة، فالثوب بدا رائعاً عليها، وضعت قليلاً من الزينة على وجهها وعينيها، وحملت قيثارتها

متوجهة إلى الطابق الأرضى.

لقد حضرت نفسها لتلعب ثلاثة قطع موسيقية القرن الثامن عشر.. فكانت معزوفات صغيرة شجية. أسرت لب المستمعين بشكل ظاهر. ولتنهى وصلتها لعبت لحناً راقصاً سريعاً جعل جميع الحاضرين يصفقون مع النغم..

ثم وقفت لتحنى رأسها شاكرة، وبينما كان التصفيق والاستحسان يتصاعدان انسحبت من القاعة.. ولكن برايان كان بانتظارها. فوضع يداه على ذراعيها.

أظن أنك كنت ستهربى.. لماذا؟

لقد استنفذت طاقتى، ولم أتحمل أن يطلبوا منى المزيد.

فضحك:

حسناً.. سأقبل بهذا القدر.. تعالى لنتكلم معاً.

نتكلم؟

أنت قلت أنك تريدين التكلم معى. وإذا كنت لست راغبة فى أن تغطسى فى بحر من التهنئات والإعجاب، فتعالى لنجلس فى مكان هادئ ونتكلم. اذهبى وضعى آلتك فى كيسها، وانضمى إلى فى المكتبة.

وحدقت به، ثم دون كلمة، أطاعته، وعندما وصلت إلى الغرفة، وجدت أن دموعها قد انهمرت دون أن تحس بها، فمسحتها بسرعة، فمن الغباء البكاء الليلة، بعد أن كان لأول مرة لطيفاً معها، ولم تشعر بالخوف منه.

وانضمت إليه بعد خمسة عشر دقيقة. وبعد أن كبحت بجهد نفس الدموع وأضافت رشة من البودرة التى قدمتها سامنثا للمشاركين فى الحفلة. وكانت المكتبة فى ظلام ما عدا الضوء البرتقالى المنبعث من النار. وكان برايان يقف فى العتمة قرب الطاولة.. ولدهشتها، لاحظت إنه ملأ صينية بالطعام.

ونظر إليها للحظة وهى واقفة فى الباب. ثم قال وكأنه نسى:

آه.. أجل.. جوانا.. تفضلى بالدخول.. لابد أنك جائعة.

ليس كثيراً.

لندع الطعام قليلاً إذاً، فهو بارد وبحاجة للتسخين.

فردت بصوت منخفض:

أتظن أننى بحاجة للتسخين أيضاً؟

فعلاً.. تقدمى واجلسى قرب النار. وأخبرينى ماذا تريدى أن تقولى. وتقدمت لتغرق فى سجادة سميكة على الأرض قرب المدفأة. ثم قالت بصراحة:

لا أظن أننى أستطيع.. ليس هكذا، فلدى جدل كبير معك أحفظه فى رأسى، ولكن لا يبدو أننى أستطيع إخراج ذلك الجدل من رأسى عندما أتحدث إليك.

لن تخرج لوحدها!

لماذا؟

لأننى أقول وأنا أتحدث إليك نفس ما تفكرين به فى

رأسك.

وفكرت بالأمر قليلاً:

أجل.. اعتقد أن هذه هى المشكلة.

حسناً هذا صدق كاف.. ما عدا أننى لا أذكر إننى تجادلت معك.

هذا لأننى أخاف منك.

ماذا؟

حسناً، أخاف مما قد تفعله.. للطفلين.

يا فتاتى العزيزة.. قد أكون ساكناً فى قصر دراكولا.. ولكننى لم أصل إلى مرحلة الاستيلاء على الأطفال.

لا.. إننى أعنى طفلى.. ظننت أنك ستجبرنى على التخلى عنهما.

ولِمَ أفعل هذا يا فتاتى العزيزة؟ أتريدين التخلص منهما والانطلاق حرة فى حياتك كما يحاول ريتشارد أن

يفعل؟

أوه.. لا.. لا.. بالطبع لا.. أقصى سعادتى أن يبقيا معى إلى الأبد.

آه.. الآن تكمن الصعوبة.

أتعنى أنك مصمم على إرسال بوب إلى المدرسة الداخلية.

حسناً، لا أظن إنه سيتناسب بعد الآن مع صفوف الآنسة فورستر؟ إنه أوعى من أن يتوافق مع أولاد أصغر منه وأقل ذكاء بكثير.. وحيث ينجح هو ستتبعه الفتاة.. كما رأيت بنفسى.

مونيكا ستكون على ما يرام هنا. سأحضر لها كلباً هدية الميلاد.

وهل ستفعلين هذا؟ أم إنه لم يبدر فى ذهنك استشارتى؟

لقد فكرت فى هذا، ولكننى قررت أن لا شأن لك فى

الأمر. فأنت لست عضواً فى العائلة.. فأنت تمثل دور (مأمور تنفيذ) لمصلحة ريتشارد إلى أن يعود إلى منزله.

فصاح بها بغضب:

كيف تجرؤين على التحدث إلى بهذا الكلام!

فردت عليه بإصرار وبصوت مرتفع.

أنت لا شأن لك بالعائلة، ولن أقبل بك. كل ما أريده أن تتركنى والأولاد لشأننا.. كل هذا الإملاء، وإرسال بوب إلى المدرسة ودفع تكاليفه بمالك اللعين.. ومنع الولدين من فعل بعض الأشياء.. هذا كله ليس من شأنك!

وبشهقة توقفت عن الكلام عند تحرك (متوحش) منه.. وحاولت النهوض، فمنعها.. وللحظة ظنت إنه سيضربها، ولكنها بخوف أدركت أن نواياه مختلفة تماماً. وحاولت الهرب منه، ولكنه أمسكها بكلتا يديه.

فى العتمة، حيث هما، لم تستطع ملاحظة تعبيرات وجهه.. ولا حتى ملامحه.. ويجنون.. كان غريبا، يتنفس بصعوبة فى العتمة وكأنه السارق الليلى.. وأمسك بها

بقوة إليه.. وخدش قماش معطفه الخشن بشرتها الباردة. وحدقت به بعينين متسعتين، محاولة إيجاد شىء مألوف أو مطمئن فى طيفه المنحنى عليها. وأخذت جوانا ترتجف وهو يعانقها، ولكن الرجفة هذه المرة كانت تنبع من عظامها، وأغمضت عينيها باستسلام..

ماذا تفعل هنا فى العتمة مع رجل لا يرغب بها، يريد، إذا كان يريد شيئاً، أن يمرر لحظة عابرة؟

وأقفلت أصابعها على رقبته من الخلف، وبادلته القبلة بالقبلة.

وتوقفت أنفاسها، نصف من العجب، ونصف من الاحتجاج. ولاحظ هذا، فرفع رأسه ونظر إليها وكأنه يستطيع رؤيتها فى ذلك الظلام. وقال بصوت أجش:

هذا كان يجب أن يحصل قبل أسابيع.

وارتفعت يدا جوانا إلى وجهها، وقالت ببؤس:

ولكنه لا يسوى أى شىء.

هناك طرق أفضل لحل الخلافات بالكلام الذى تستسيغينه الأمر بسيط. الطفلان بحاجة للأمان والاستقرار..

فقاطعته بسرعة:

والحب.

فتنهد:

حسن جداً.. والحب الذى تعطينه أنت لهما. ولكنهم بحاجة للاستقرار، وأنت، كما سمعت عدة اتهامات، مجنونة، لذلك فهما بحاجة إلى شخص آخر يوفر لهما الاستقرار.. وأنا شخص لا يمكن زحزحته.. فتزوجينى.. وعندها سيحصلان على كل ما يحتاجان إليه.

فشهقت:

كيف تجرؤ؟

وبدا لها الأمر كالإهانة.. ولكن مع الصوت الناعم الهادئ لم تستطع معرفة ما إذا كان يداعبها للإزعاج أم لا.

أوه.. ولكننى أجـرؤ.. أجـرؤ يا حلوتى السـخـيـفـة جوانا.. أجرؤ كثيراً..

وجذبها إليه ثانية، وعانقها بقوة.. ثم.. وعلى حين غرة.. وبشكل مستحيل الحدوث فتح الباب لتظهر إيزابيل بدفورد، وهى تقول:

براين.. الأولاد يصـدرون ضـجة فظيـعة.. ويبدو أن جوانا اختفت ومونيكا تصيح بهستيرية.

وصـمـتت.. بعـد أن تعـودت عيناها على العـتـمـة.. ولاحظت وجود فتاة بين ذراعى مضـيفها، وقد احتواها بينهما. فقالت بخجل:

سامحنى..

ولم ينظر براين إليها فتابعت:

سـأصـعـد إلى فوق لأفتـش عنهـا.. لابد أن تكون فى مكان ما.. أنا آسفة يا براين.. ويا..

وكانت تغلق الباب خلفها عندما أضافت:

.. سامنثا.

وأجفلت جوانا، وأحس بها، فقبلها بسرعة، وانسلت من بين ذراعيه وأختبئت وراء المقعد. ركبتاها تصطكان، ولم يعترض ولم يلحق بها. واعتقدت أن ألسنة النار تلامس وجهها فوضعت يديها على خديها. وتمتمت وهى تحتقر نفسها:

أوه.. يا إلهى.. أوه.. لا!

جوانا..

لا.. أرجوك.. أظن أننا أنهينا كل ما نريد قوله لبعضنا.

ولكننى لم أنته بعد.

فقالت بحزم:

ولكننى أنا، انتهيت. كم تظن أن مالك يسمح لك بالتمادى يا برايان؟

وأحست بالطيف أمامها يرتجف:

لن يصل إليك، كما هو واضح. لم أكن أدرك أن المال القذر له هذه الأهمية فى حياتك. لست مدينة لى.. مهما صرفت على الولدين فلا شأن لك به.. ولا تحاولى أبداً رد المال لى بطريقتك.

أين ذهبت تلك الضحكة المشتركة، ذلك التفاهم الأفضل الذى هنأت نفسها عليهما منذ قليل؟

وتنفست باضطراب، وسيطرت على الدمع الذى هدد بالتدفق.. واكتشفت أنها تريد أن.. تغضب.. أن تصرخ.. وأن تبكى. تريد قبل أى شىء أن تهينه بعمق وإيلام كما أهانها..

فردت عليه بعنف:

كم أنا سعيدة لسماع هذا.

وخرجت من الغرفة.

صمت مؤلم

كان الولدان، عندما وجدتهما، فى المطبخ وقد طيب آرثر خاطرهما. مع أن مونيكا كانت تبكى، ولكن فى نظر جوانا كان ذلك نتيجة الإفراط فى التأثر أكثر منه خوفها من هجران عمتها لها. ونظرت جوانا إلى ساعة المطبخ، لتجد بذهول، إنها قد تجاوزت العاشرة. فقالت بحزم:

حان وقت الذهاب إلى المنزل، فأنا مرهقة حتى ولو لم تكونا.. فرد عليها بوب:

أستطيع البقاء صاحياً طوال الليل.

إنه أمل خائب.. لأنك لن تحقق هذا.

وأخذت المنديل من يد آرثر، ومسحت وجه مونيكا.

علينا حقاً الذهاب يا آرثر.

هل أنت بخير؟ لقد كان لونك شاحباً منذ أيام حسب ما قالته إيزابيل.

فضحكت:

أنت لا تعرف المغازلة يا آرثر.. أليس كذلك؟ حقاً إننى بخير.. ولكننى تعبة.. وأتمنى لو أننى لست مضطرة لقيادة السيارة.

وبدا على آرثر القلق:

إذا كان بإمكانك الانتظار.. سأوصلك، إذ يجب أن أبقى لأقدم العشاء.. وبعدها..

فهزت رأسها:

أوه.. هراء.. لطف منك أن تعرض على هذا، ولكن الأمر سخيف ففى هذه الحالة يكون عليك إما أن تأخذ سيارة البريغاديز وتتركها قرب منزلى وتعود سيراً، وإما أن تأخذ سيارتك، وعلى أن أعود لآخذ السيارة الكبيرة.

وهذا أمر غير عملى.. ولن أكون كسولة.

ولكنك تبدين تعبة ولا أظن أن عليك قيادة السيارة.. اسمعى.. بإمكان سامنثا إيصالك، ثم آخذ السيارة الكبيرة لأتركها عندك وأكمل طريقى سيراً. فلا أريد أن أبقى هنا كثيراً. وسيكون عذر جيد لى للهرب.. سأبلغ سامنثا.

ولكن قد لا ترغب فى الذهاب الآن.. ولا يمكن أن تطلب منها هذا.

أستطيع أمرها بهذا، فأنا رب عملها. مع إنها تحاول نسيان ذلك عندما يناسبها.

ولكن هذا لا ينطبق على إيصال الناس بالسيارة.. إنها ساقية، وليست سائقاً.

فرد عليها بصوت مرتفع:

سوف تفعل ما أقول لها. أحضرى قيثارتك وألبسى الولدين معطفيهما. وإذا كنت تريدين إيصال أى شىء إلى المنزل ضعيه فى السيارة الكبيرة أو اكتبى لائحة به.

وذهب يبحث عن سامنثا. وبدأت جوانا تزرر معطف مونيكا. وارتدى بوب معطفه بنفسه، بينما دخلت سامنثا المطبخ، وبدت مسرورة وهى تبتسم:

قال لى آرثر أنك تعبة.. ولست مندهشة لتعبك. هل أنتم جاهزون؟ سأوصلك بكل سرور، ولكن لن أتأخر.

وبدا عليها وكأنها مؤمنة أن وجودها ضرورى جداً للاحتفال.

أنت طيبة.. لو تضعين الأولاد فى السيارة.. سأصعد إلى الغرفة لأجلب ڤيثارتى.

وخرجت إلى برودة الليل، تعد نفسها بأن لا تعود إلى منزل العزبة أبداً.. ولم يكن وعداً مأساوياً، ولا مريحاً. فقد أحست وكأنها جردت من كل دفاعاتها على يد عدو أفضل تسليحاً منها حتى قبل أن تكتشف الأرض التى تقاتل عليها. ولكن مهما كان ارتباكها فلم يكن هناك أدنى شك عمن كسب المعركة، وأكملت طريقها إلى منزلها بصمت مؤلم.

عندما وصلوا.. ساعدت سامنثا الأولاد بالنزول من السيارة فركضا على الفور نحو الباب الخلفى الذى لم يكن يقفل عادة.. وقالت جوانا وقد عادت إلى رشدها:

شكراً لك سامنثا.

وحملت القيثارة، ثم فتحت الباب لتخرج من السيارة، ولكن سامنثا أوقفتها.

لا.. انتظرى لحظة، أنا سعيدة لحصولى على هذه الفرصة لأكلمك.. لن أبقى.. ولكن أحب أن.. حسناً.. لست أدرى كيف أصيغ الأمر..

تصيفين ماذا؟ انظرى سامنثا.. أنا تعبة، تعبة جداً. ولأكون صادقة، أنا متوترة الأعصاب. وحتى الآن حاولت كبت أعصابى مع مونيكا وبوب، ولكن صبرى يكاد ينفذ.. وأكره أن أفقد أعصابى معك وأنت لطيفة جداً معى لإيصالى إلى المنزل.

وبدا على سامنثا التألم:

لا أريد أن أغضبك.. أريد فقط.. أن.. ألمح..

أنا أبعد عن أخذ أى تلميح الآن. وإذا كان لديك ما تريدين قوله فقوليه بحق الله.. ولننتهى منه.

أريد أن أقول أننى مسافرة إلى مونتريال بعد الميلاد.

أوه.. تهنئتى لك. وأنا سعيدة لأجلك إذا كان هذا ما تريدينه. ولكن ألم يكن من الممكن لهذا البهجة أن تنتظر حتى أكون صاحية كفاية؟

وتجاهلت سامنثا ما قالته وتابعت بسرعة:

مع برايان..

وغاصت فى المقعد وكأنها تختبئ من شىء منتظرة ماذا ستفعل جوانا، التى قالت ببطء، وقد وجدت نفسها غير مصدقة:

برايان؟ أتعنين برايان تورنيول؟

وهزت سامنثا رأسها، وأحست جوانا بأن معدتها قد تقلصت، فجأة، تاركة حفرة باردة مكانها. فقالت بهشاشة:

تهنئتى لك.

نحن لم نخبر أحداً فى القرية.. سأذهب فجأة.

فكرة جيدة.

بالطبع لن أعود.. فقد قررنا هذا.. وسأتابع مهنتى هناك وسنبقى معاً.

سيكون هذا رائعاً. ولست أرى لماذا تخصينى بهذه المعلومات؟ أتريدينى أن أستلم وأعيد لك بريدك أو شىء ما؟ ألن يكون آرثر أهل للثقة أكثر فى هذه الحالة؟

ووضعت سامنثا يدها الناعمة على ذراع جوانا:

الأمر.. أننى.. فقط.. لا أستطيع أن أقول له.. سيتألم كثيراً. فاعتقدت أنك ربما.. تخبرينه بنفسك، بعد أن أذهب.. وسوف يتغلب على هذا الهوس حولى.

وأحست جوانا بالغضب ففتحت الباب وقالت بحزم:

لن أفعل هذا. فهو ليس من شأنى. ولا تقلقى نفسك فى أن يموت آرثر من تحطيم قلبه عليك. فما من شك أنه

سيعيش بعد هذه الضربة.

وتركتها لتدخل المنزل. وما أن أصبحت هناك حتى اكتشفت إنها ترتجف من الغضب، وانفجرت عاصفة من الدموع كانت تكبحها منذ وقت طويل. ووضعت رأسها بين يديها على طاولة المطبخ. وتمتعت ببكاء لم تعرف مثله منذ أن كانت فى السادسة عشرة من عمرها. ثم وقفت لترش قليلاً من الماء البارد على وجهها وعينيها لتنعشهما ثم شربت قليلاً من الماء.

فى الخارج سمعت سيارة تقف. لابد أن آرثر قد وصل ومعه السيارة الأخرى. وتمنت جوانا أن لا يرغب آرثر فى الدخول، كل ما عليه أن يفعل هو أن يرمى المفاتيح من ثقب الرسائل فى الباب. ولكنها سمعت صوت وقع أقدامه ثم صوته يقول وهو يخربش على الباب:

هل لى أن أدخل؟

وفتحت غصباً عنها. وقالت بلهجة أقل من مرحبة:

هس..!

هل نام الأولاد؟

أتمنى هذا، فهما متوترين من الإثارة. وأتمنى أن لا يمرضا فى الغد.

إنهما قويان. وإذا سألتنى سأقول لك أن بوب سيكون فى أوج انطلاقه فى الغد وربما سيعرض على معجبيه توقيع (الأوتوغراف) لهم.

وقالت متوسلة:

إياك أن تقترح مثل هذا الشيء. فبدون شك سيعتقد إنها فكرة جيدة.

إنه ولد عفريت ولكننى لا أظن أن له فرصة مع أفريل فورستر ألا تعتقدين هذا؟

لن يستمر الأمر أكثر من بضعة أيام.. سيذهب إلى المدرسة الداخلية بعد رأس السنة.

صحيح؟ هذا قرار مفاجئ.. لماذا قررت هذا؟

لم أفعل. وليس مفاجئاً.. إنها رغبة ريتشارد.

آه.. أذكر.. لقد كنت قلقة حول نوايا ريتشارد منذ بداية السنة. إنها فكرة متعقلة.. وبوجود واحد منهما فقط في المنزل سيتاح لك الوقت لشؤونك الخاصة. أعتقد أن مونيكا لن تذهب؟

ليس بمدرسة صبيان؟

وأنت لا تريدينها أن تذهب على كل الأحوال. ولكنك حمقاء عاطفية يا جوانا.

وأحنت رأسها فوق كتفه:

يمكنك قول هذا، ولكنني لا أستطيع منع نفسي. فلا تسخر مني يا آرثر.. لقد مر على أكثر مما أتحمل اليوم. وقد انفجر بالبكاء.

وقلق آرثر، فرفع ذقنها ليتفرس في وجهها منكراً:

يبدو لي أنك بكيت فعلاً.. ما الأمر؟

كل شيء خاطئ.. وأنا صحبة مزعجة الآن.. فالأفضل أن تذهب.. أين المفاتيح؟

وأعطاها المفاتيح:

لا أحب أن أتركك هكذا . فأنت لست سوداوية الطباع عادة.

فهزت كتفيها:

أنا تعبة.. وسأكون أفضل حالاً بعد نوم مريح.

أنت بحاجة لأجازة.. لقد عملت بجهد لمدة طويلة. لماذا لم يلاحظ أحد هذا؟

هراء.. هذا الأمر.. مؤقت.. من تأثير الخريف الكئيب.. بطريقة أو بأخرى.

فجلس إلى طاولة المطبخ وقال:

بالتأكيد.. العزبة، وتورنيول سامنثا.. والجميع.. هل تعلمين أن سامنثا مسافرة؟

إنها مضطرة للسفر آخر الأمر، فهى لن تقنع بأن تكون ساقية فى مطعم قروى طوال حياتها.

لا.. ظننت إنها قد تقنع بالبقاء. ولكننى كنت مخطئاً.

أنا آسفة لهذا.

آسفة؟ ولكننى لست بآسف.. لقد كنت مخطئاً، فهى فتاة ليست لطيفة بالمرة.

لم أكن أعلم إنك تبحث عن اللطف.

فضحك وتعبير كوميدى على وجهه وفى صوته:

ولا أنا. ولكننى عرفت هذا المساء، عندما كانت تقف لتضع الماكياج على المرآة، ولم تعط فرصة لأحد أن يقف معها.. إنها أنانية جداً. قد تبدو كطفلة.. ولكن لن يرتاح من سيعيش معها.

ودهشت جوانا لثقته الكاملة بكلامه، ولاحظ دهشتها، فأمسك بيديها وقال:

أنا أثير ضجة لا لزوم لها حول الأمر.. أليس كذلك؟ مشكلتى أننى لم أفعل مثل هذا من قبل.

مثل ماذا؟

مثل سؤال صديقة قديمة أن تتزوجنى.

فحدقت به بذهول، فضحك.

لا تبدين مجاملة كثيراً يا حبى.. لماذا أنت مصدومة هكذا؟

لأننى.. فعلاً مصدومة.

فوقف وتقدم نحوها.. واحتواها بين ذراعيه بقوة:

فكرى بالأمر.. لدينا أشياء كثيرة مشتركة.. ونعرف بعضنا منذ زمن بعيد.. وأعلم أنك مهووسة بحب الطفلين.. وتعلمين أننى حساس جداً.

وحررت جوانا نفسها بلطف:

آه.. أجل.. وهذا كل ما فى الأمر؟ سامنثا الخائنة.. آرثر يا عزيزى.. أنت، ما هو معروف عموماً، بالمصاب بالصدمة. الأفضل أن تعود إلى منزلك وتنام.

وأعادها بين ذراعيه:

كلام هراء.. اصغى إلى جوانا. لقد كنت غبياً فيما يتعلق بسامنثا، وأعترف بهذا. ولكنها لم تكن رديئة.. بل

كانت جميلة نوعاً ما عاجزة، وأردت أن أعتنى بها.

وماذا بعد؟

عندما رأيتها الليلة، أدركت أنك مختلفة عنها. هذا غباء.. لقد فكرت بك كطفلة دائماً. ربما لأنك لم تزعجنا أنا وريتشارد أبداً عندما كنا صغار. كنت دائماً تشغلين نفسك بنفسك، وكنت مكتفة.

شكراً لك!

ولكننى لم أعد أؤمن بهذا.. فعندما رأيتك الليلة، وكنت شاحبة جداً.. وإيزابيل كانت محقة حول فستانك فهو يجعلك تبدين مختلفة.

آرثر.. هل أنت تجبرنى، وبجد، أن طلبك الغريب لیدی هو نتيجة ظهورى فى فستان جميل؟

وبدا عليه الانزعاج:

كنت أحاول أن أشرح لك.

لست بحاجة لشرح أى شىء.. أفهمك جيداً.

ولكنك لا تصدقينى.

بلى.. أصدقك تماماً. أنت تريد زوجة تبدو مثل الحمامة وتتصرف مثل ساندريلا.. وهذا أمر رائع منك. ولكننى لست مرشحة. فأنا لست هكذا، كما تعرف جيداً.

لابد أننى مجنونة.. هذا ما أردته منذ زمن طويل. ومررت يدها على عينيها إشارة للقلق. وقالت له:

أرجوك أن تذهب يا آرثر. أنا آسفة، ولكننى لا أستطيع الزواج منك. مستحيل.. وغداً فى ضوء النهار سترى بوضوح كما أرى أنا الآن.

ولكن..

أرجوك أن لا تصر.. تصبح على خير.

فخرج دون أن ينبث بكلمة.

وارتمت جوانا على الجدار وأسندت خدها على زجاج النافذة لتبرده.. إنه لن يعود أبداً.. ودهشت لإحساسها بأن الأمر مريح.

وتفحصت مشاعرها.. وبدا لها أنها قد تعودت على الإخلاص لآرثر حتى أنها لم تلاحظ أن هذا الإخلاص قد بدأ يخبوا. مع إنه لم يتلاشى بالمرة.

إنها تحبه، فهو صديق مألوف وكريم معها. ولكنه أثار غضبها بتردده وميوله الهوائية.. ونظرتها العملية إلى الحياة سوف تزعجه بالتأكيد.. ألم تقل لها إيزابيل إنها ليست رومانسية؟ حسناً.. هذا صحيح. وآرثر أكثر من أى شخص تعرفه يريد زوجته أن تكون رومانسية.

هذا الاكتشاف محبط.. أنها لم تعد تحب آرثر.. وربما ليست قادرة على أن تحب أحداً.. فقد انقلبت لتصبح دجاجة حاضنة ليس فى رأسها أى تفكير يتجاوز حياة الولدين.. المرة الوحيدة التى نسيت أن تكون فيها متحفظة ومتمدنة، كانت عندما تشاجرت مع برايان حولهما.

ووقفت فجأة وكأنها أحرقت نفسها وصاحت بصوت مرتفع من تلك الفكرة الرهيبة (لا..)

الأمـر خيـالى لا يطاق.. إنه سـخـيف. وإذا لم تكن تناسب آرثر، فإن برايان تورنيول يبعد كثيراً عن طبقتها.. على الأقل تملك العقل السليم لتفهم هذا.

فى الأيام التى تلت، كان أمامـها عمل كثير، أكثره فى العزبة.. فقد نظمت حملة من الكشافة تحت توجيه الكاهن لتفكيك الزينة وإيصال شجر الميلاد إلى من كانت ستـصل إليـهم أصـلاً. ولم تزر المنزل بنفسـهـا. فـقـد افترضت أن سامنثا ستعلن نفسها مسؤولة عن تنظيف المنزل عدا عن إزالة الأجسام الغريبة من قاعته. وكانت إيزابيل زائرة دائمة، وبدا إنها تفكر ببرايان تفكيراً يرفع من مكانته. وعندما شاهدت جوانا قيمة الشيك الذى دفعه لتـمـويل حـفلة إيزابيل، لم تندهش. ووجـد البـريغـادير بدفورد، بشكل خاص روحاً طيبة فى الرجل، وأخذ يقص على جوانا كم أن صحبته ممتازة، يوماً عندما وجد إنها لم تتجاوب معه.. ولم يكن من عادتها وضع السدود أمامه عندما يرغب فى الحديث، وتساءل فى نفسه عما إذا كانت مـريضـة وبحـاجـة لأجـازة طويلة فى أسـبـوع الميـلاد.

وسيبحث الأمر مع إيزابيل. وعندما فعل أجابته زوجته:

الأفضل أن تعطيها الإجازة قبل الميلاد لتتمكن من شراء ما تريد، وقل لها أن تترك الولدين معنا.

وكرر البريغادير هذا لجوانا قائلاً:

اذهبي متى شئت. غداً أو بعد ظهر اليوم. سيوصلك آرثر إلى المدينة إنه ذاهب اليوم.

فردت بعجل أن الغد سيكون أفضل. وإنها تريد سحب بعض المال وعندما سيصل آرثر إلى المدينة اليوم سيكون المصرف قد أقفل.

وكان هناك ثلج خفيف فوق الأرض عندما سافرت جوانا إلى المدينة في الصباح التالي. وعلى الرغم من الريح المريرة، لم تكن الأرض قد تجمدت بعد.. السنة الماضية بنت جوانا للولدين رجل ثلج أمام المنزل، وكان أو تمثال مماثل بريانه، واليوم كانا يشعران بالشوق لتكرار الأمر. وبدئا بالعمل فور وصولهما إلى المزرعة، وبدا عليهما السعادة وهما يجمعان الثلج.. وإلى أن يذوب لن

يزعجا إيزابيل.

وعندما عادت جوانا، كانت سيارته ممتلئة، وحالة تفكيرها سعيدة أكثر فقد صرفت كثيراً على شراء الهدايا دون تفكير، تحس أن المستقبل غير مؤكد وأن عليها التمتع بيومها. وكان هناك عامل تحد كبير ممزوج مع متعتها، وكانت تعرف هذا، ومن الجيد لها مع ذلك أن تكون مبتهجة ثانية مهما كانت الدوافع. ودخلت فناء المنزل وهى تغنى.

وكان رجل الثلج الذى أقامه الولدان يذوب بالتدريج. ولكن لم يظهر لهما أثر، ولا لآل بدفورد.. ونادت جوانا، ولم يرد عليها أحد، فتنهدت وذهبت نحو المطبخ، لتجد رسالة من إيزابيل مثبتة إلى الباب تخبرها إنها ذهبت إلى اجتماع عاجل للجمعية الخيرية.. ولم تذكر الرسالة الولدين وبالتأكيد كانت ستقول لو أنها أخذتهما معها. وربما وضعتهما تحت رعاية زوجها لوحده.. فسارعت وقلبها يخفق نحو المكتب، وكان فارغاً أيضاً.

وكانت لا تزال تفكر عندما سمعت صوت السيارة الكبيرة فى الباحة، فخرجت لتجد البريفادير لوحده وراء المقود، فقطعت الباحة نحوه قائلة:

أين هما؟

هما؟ .. من؟ ماذا؟ لا تزعجينى الآن يا عزيزتى على أن اتصل بالطبيب البيطرى فإحدى الأبقار كسرت ساقها، مسكينة.

الطفلين.. أين هما؟ ماذا حدث لهما؟

لابد أنهما فى مكان ما.. كيف لى أن أعرف أين؟ اسألى إيزابيل إنها فى المنزل.

إنها ليست فى المنزل.. لقد خرجت.

سيكونان معها إذن.. أو ما رأيك بقصر الأمير؟ لابد أنهما ذهبا إلى هناك لرؤية آرثر.

لا يمكن أن يفعلا هذا. فهما يعرفان إنهما لا يسمح لهما بقطع الطريق الرئيسية لوحدهما.

حسناً.. يمكن أن يكونا قد أخذا الكلبين فى نزهة، إلى التلال أو أى مكان آخر.

وربما إلى البحر. لم أفكر بهذا لأننى كنت أظن بوب قد خاف بما فيه الكفاية من زجر برايان له، ويمكن أن يكون ذهب إلى هناك ثانية نكاية بنا.

سيكون بخير طالما الكلاب معهما.. إنهما كلبان عاقلان.

ولكن مونيكا!

أوه.. بالطبع.. إنها ليست متعقلة.

كانت كمن تتكلم مع الفراغ. وسارعت إلى طريق باحة الكنيسة. فهى تعرف الطريق التى قد يسلكها الولدين. وكانت الطريق زلقة بالعشب المبلل، والثلج المتبقى فوق المرج، يذوب ليشكل ممرات موحلة غير سوية، وسارعت جوانا فوق المرج، وكادت تفقد توازنها أكثر من مرة.

وبدأت تنادى بأعلى صوتها الرفيع. ولم تلق الرد، إذ

لا يمكن لشخص يبعد خمسين متراً أن يسمع صوتها الرفيع.. وأخذت تركض نحو الشاطئ.. وعلى الفور تقريباً سمعت صوت الطفلين ونباح الكلبين. فى البداية اعتقدت إنهم يلعبون، واجتاحتها موجة من الارتياح، فتوقفت عن الركض.

ثم سمعت صوت بوب يرتفع، مليئاً بالذعر. أول تفكير لها إنه كان يغرق. فأخذت تركض مجدداً، وما أن خرجت من بين الأشجار حتى شاهدت الكلبين يدوران بجنون وبوب يقف على الصخور فصاحت:

قف جامداً.. لا تتحرك.. أنا قادمة!

ولكنه عاد للصراخ. وكان الكلب الكبير يقفز إلى ومن الماء وكان الأمر لعبة كبيرة. كان الموج مرتفعاً يضرب على الصخور ثم يرتد بدوامة كبيرة، أدركت جوانا على الفور مدى الخطر على الولد الصغير.

ولوح بوب بيديه:

لا.. لا..! مونيكا وقعت فى الماء! مونيكا.. مونيكا.

القطه البريه

تجمدت جوانا مكانها كالميتة. وللحظة رهيبة لم تصدقه. لم يكن هناك أثر للطفلة فى

الماء. وابتلعت ريقها وقد أحست بالبرد والصدمة.

وكأن فيلماً سينمائياً لا دخل لها فيه يعرض أمام عينيها. ثم وجدت مونيكا.. شعرها

طائف فوق الماء، والموج يجرفها فى حفرة بين الصخور، فرمت المعطف عنها ثم

تقدمت من المياه. وخاضت إلى المنتصف محاولة الوصول إليها.. لابد أنها وقعت من

تلك الصخرة المرتفعة التى يقف عليها بوب. ولم تكن

تتحرك، أو يظهر عليها أنها

واعية. وكان الماء يعلو فيغمرها من وقت إلى وقت.. وصاح بوب:

لقد غرقت! لقد غرقت!

فردت جوانا من فوق كتفها:

هراء.. اذهب واحضر برايان.. بسرعة.. أحضر برايان!

وطار راكضاً فوق الصخور، واثق الخطوة وكأنه الغزال. وفقدت توازنها فوقعت فى

الماء واضطرت للسباحة. ولكن الماء كانت قوية ولم تستطع التقدم نحو مونيكا،

وحاولت التقرب منها عبر الصخور ولكن الطفلة كانت تبتعد كلما علا الموج.

لم يمر عليها أكثر من دقيقة ومع ذلك فقد أحست جوانا أنها تقاوم الماء منذ ساعات،

كل ضـربة ذراع لهـا فى الماء تبـدو بطيـئـة ودون فائدة.. وأخيراً وصلت إليها..

وأمـسكت بوجـهـها الصـغـيـر الأبيض بين يديهـا. وأخذت تجرها فوق الماء، وتقدمت

الصـخور منها وأحست وهى تمسك بمونيكا أن الماء أخذ يجرفها هى أيضاً. وبيأس

بدأت تقـاوم. ولكن قـوة الموج طغى على مقـاومـتـهـا وضربتها الأمواج بالصخور مرات

ومرات، ومع ذلك فقد قاومت بشكل ثابت كى تبقى وجه مونيكا خارج المياه.

وأخيراً سمعت أصواتاً عند الشاطئ فنظرت لترى بوب يلوح لها وبرايان يسارع فوق

الصخور أيضاً.. وصاح بها:

من هنا!

وكـانت مـرهقـة تقـريبـاً، وبالتـأكـيـد لن تسـتطيع

الاستجابة له.. ولاحظ هذا. وتمسك

بطرف الصخور وانزلق ومد يده لها. وقال بسرعة:

أعطنى الطفلة. أعطنى إياها.

وكان أبعد عن قوتها أن تستجيب، ولكن بعد محاولتين غير ناجحتين، استطاعت أن

تعلق ياقة فستان مونيكا فى أصابعه الممدودة. فأخذ يشد الجسد الفاقد الوعى نحوه..

واستطاع بكل جهد أن يشدها نحو اليابسة.

وما أن رأته جوانا سالماً مع الطفلة حتى أطلقت تنهيدة كبيرة.. وكانت أطرافها

تؤلمها وكتفيها مخدشان من الصخور، وباردة برودة الموت، وبارتجاف تقدمت نحو

الصخور مترنحة. ولكنها لم تستطع لتعبها أن تتسلقها، ومرة أخرى سمعت صراخ

بوب. ولكن من مكان بعيد.. ولم يكن إحساس مزعج

أن يحمل الماء جسدها..

فأغمضت عينيها.

كانت ممددة على الشاطئ وبونتى يلعق وجهها.. ومن خلفه كان بوب راكعاً ينظر

إليها بينما كان برايان يمسك بمونيكا وهى منحنية إلى الأمام تتقيأ. فتمتمت جوانا:

أوه.. لا!

هذه المرة سيكون عنيفاً فى غضبه، وهذه المرة له مطلق الحق.. وأدار لها رأسه:

هل استيقظت.. كيف تشعرين؟

وبدا بدوره شاحباً وكأن الغثيان قد أصابه، فردت عليه محاولة أن تبدو مرحة:

أشعر بالبلل.

لست مندهشاً. ستكونين محظوظة إذا لم تصابى بالنزلة الصدرية وقال

لمونيكا:

هل انتهيت من القيء.

فهزت رأسها، وقال لها:

لن أسألك ماذا حدث، اركضى الآن أنت وبوب وسأساعد جوانا على

النهوض.

وتقدم من جوانا ووقف يحدق بها متجهماً:

هناك دماء على وجهك وكذلك على ذراعيك.

أنا بخير..

وحاولت الوقوف بجهد، فصرخت لألم فى كتفها. فقال بشراسة:

أنت مجنونة.. لماذا لم تأتى إلى؟

لقد أرسلت لك بوب.

ورميت نفسك فى الماء وانتهيت تصيحين لآلامك..

أيتها الحمقاء

الصغيرة. ألا تعلمين أن البحر هائج؟

لم أفكر بهذا.. أنا آسفة.

وبلع صيحة غضب عنيفة وقال:

هل تستطيعين السير؟

وأخذت يده التى مدها لها ووقفت متألمة على قدميها، وحملها بين ذراعيه دون أن

يسألها شيئاً، وبدأ السير بسرعة نحو المنزل.

فقالت محتجة:

لا.. أرجوك.. لا حاجة لك لأن تحملنى. فعضلاتى متشنجة قليلاً فقط.

تستحقين هذا.. ظننتك مُتى، عندما نظرت إلى الوراء ووجدتك قد

اختفيت.. يوم ما.. سأسلخك.

فضحكت، ثم سعلت.. وبعدها عطست:

أنت لست مهذباً معى.

لا أشعر بأننى مهذب.. بل أشعر..

بالغضب؟

أكثر من هذا.. أكثر بكثير كثير..

ووصل بها منزله، فركل الباب ليدخل المطبخ ويضعها قرب الموقد.. فأحست بنعمة

الدفء، وقال لها.

والآن ماذا؟ حمام ساخن وثياب جافة، ستضطرى لارتداء ثيابى.

ولكن مونيكا..

دعى مونيكا لى.. سأحممها بنفسى وأجد لها شيئاً يدفئها.. اصعدى إلى

فوق وابدأى حمامك.

ولكن مونيكا يجب أن تتحمم أولاً.

سأحممها هنا أمام الموقد. إلا إذا.. كنت تفضلين أن أصعد وأحممك أنت

أيضاً.

وسارعت لإطاعة ما طلبه منها.. ولقول الحقيقة كانت سعيدة بهذا. فقد كان رأسها

يؤلمها وأطرافها كذلك، وتفحصت جسدها في مرآة الحمام ووجدت كدمة قوية

على رأسها كانت متأكدة أنها ستسبب اسوداد عينها.

وعادت إلى الطابق السفلي لتجدهم يجلسون في المكتبة أمام نار الحطب ووعاء كبير

من الشوكولا فوق النار، وصب لها برايان بعضاً من السائل المنشط وقال:

تحسنت؟

كثيراً.

ونظرت إليه من فوق حافة كوبها.. حتى الآن وقد زال عنه تعبير القلق، بدا غير

سعيد، بل بدا قلقاً حتى الموت.. ودست قدميها تحت روبه الذى ترتديه، ولاحظ

الحركة:

أتشعرين بالبرد؟

لا.. سأكون حارة جداً ومشوية عندما أنهى شرب الكاكاو. هل تبقى

النار دائماً صالحة لشوى عجل؟

عادة.. فأنا أجد كندا باردة وكئيبة. والنار تشعرنى بالبهجة.. وسأكون

سعيداً عندما أسافر.

أوه.. وهل ستسافر إلى الخارج ثانية؟

بعد الميلاد مباشرة، يجب أن أقضى عيد رأس السنة

فى الجزائر.

فاتسعت عيناها دهشة:

ولكن ماذا عن سامنثا؟.. أوه.. أنا آسفة.. لم أقصد التطفل. هذا ليس من

شأنى. ولكنها ذكرت هذا لى.. أعنى.. أننى لم أفكر.. واقتحم تدفق حججها،

وقد بدا عليه السرور:

ماذا عن سامنثا؟

ظننت أنها مسافرة أيضاً.

إنها مسافرة.. ولكن ليس إلى الجزائر.. وليس معى.. أؤكد لك.

أوه.. ولكن..

أهذا ما ظننته؟ إننى قد أهرب مع سامنثا؟ ولكن لماذا.. بحق السماء؟.. آه..

فهمت هى قالت لك هذا. كم إنها امرأة محتالة

خبيثة!

وابتلعت جوانا ريقها وقالت بصوت ناعم:

لقد كنتما صديقان مقربان.

وهكذا صدقتها؟ كم أنت بريئة! لقد كانت مفيدة لى.. لقد ساعدتنى

كثيراً، بطريقة أو أخرى.

وهل استغليتها؟

هى التى استغلتنى.. ألم تستغلى أحداً من قبل؟ أم لا.. أنا واثق أنك لم

تفعلى..

فحاولت تغيير الموضوع!

يجب أن يكونا الآن فى الفراش.. سأرتدى ثيابى وأخذهما إلى المنزل.

لن تفعلى هذا.

ومن سيمنعني؟

فوقف:

أنا.. فلدينا حديث لم ينته بعد، وأريد إعادة فتحه. وإذا ظننت إنهما بحاجة

للراحة فسأضعهما في فراشي وأغطيهما ببطانيتي الكهربائية. ولكن لن تذهبي إلى

المنزل قبل أن أسمح لك. فحدقت جوانا به.. فتابع عابساً:

فهمت؟

آه.. أجل.. على الأقل أعرف ماذا ستفعل ولكنني لا أعرف لماذا.. لماذا

لا نعود إلى المنزل؟

فصر على أسنانه:

لأنني أريد التحدث إليك.

وظنت، بما إنه سيغادر البلاد، إنه يريد تسوية وضع

بوب فى المدرسة الداخلية،

فقالت:

أوه.. حول بوب بالطبع.

فرفع عيناه إلى السماء:

لا.. ليس حـــول بوب، ولا مـــونيكا، ولا المنزل أو الحديقة أو القرية أو أى شىء

آخر. بل عنك أنت، إنتظرى هنا.

وفعلت.. وعاد إليها بعد عشر دقائق ليجدها مكورة فى مقعدها ويداها مخبئة فى

أكمام الروب، فسألها باهتمام:

هل تشعرين بالبرد؟

وأضاءت بسمة عينيها بسرعة.

هل هذا ما أردت التحدث إلى به؟ لا.. شكراً. لست بردانه أكثر مما أستحق.

فتنهد.

لا تحاولى تمثيل دور الشهيدة. ليست غلطتك أن تقع مونيكا فى البحر.

كيف تقول هذا؟

لقد حذرتهما.. كلاهما.. ووضعت مخافة الله فى قلوبهما.. وأنت لم توافقى

كما أذكر.. واعتقدت أنك قد قلت لهما بما يكفى أن يبتعدا عن البحر.

هذا صحيح.

إذن لقد قمنا بما فى وسعنا دون أن نضع وتداً فى الأرض لنربط هذين

الوحشين له. وهذا شىء يجب أن يتعلماه بالخبرة، إذا كان لا يمكن أن يتعلماه

بالثقة، مثل عمتهما.

فضحك وقال ممازحاً:

أنت.. أنت لا تأخذين شيئاً بالثقة، ألست هكذا؟ أنت شكاكة مرتابة

وكأنك القطة البرية.

لست أرى أن لك الحق فى الحديث معى هكذا.

وأنا.. لست أرى أن لديك طريقة لمنعى.. وأنت يجب أن تتعلمى أى

شىء بالطريقة الصعبة.. ألست هكذا؟ آه.. جوانا جوانا! يا قليلة التفكير، يا

سيئة الطباع يا حمقاء محبوبة. كم سيستغرقك من وقت لتعرفى إنك لا تريدين

آرثر؟ بل تريدينى أنا.

لا.. لست أريدك.. لا أستطيع.

ليس بالطبع بعد أعوام لا يعرف سوى الله عددها من الإخلاص لآرثر؟

لا تكونى حمقاء! بالطبع تستطيعى.

ولكننى لا أعرفك سوى منذ أسابيع. ومعظم ذلك الوقت أمضيناه وأنت

تصرخ على وتتأمر على.

ما كان يجب أن تكونى حمقاء. وماذا تتوقعين أن أفعل، وأنت تسكبين

قلبك الذائب على قدمى آرثر؟

لقد عرفته طوال حياتى.. إنه جزء من حياتى.. أما أنت.. لا يمكن أن أقع

فى حبك خلال أسابيع.

بل يمكن فى لحظات.. لقد حدث هذا لى.

صحيح؟

بالطبع.. لقد كانت تجربة جديدة لى.. وكنت فخوراً بنفسى.

وضحك بخشونة ثم تابع:

إلى أن وجدت إنك تعتبرين نفسك مخطوبة. فقد

تحدثت معى فقط عندما

لم تعودى تستطيعى تجنبى. وكان هذا محبطاً لعزيمتى.

لذا أنت مسافر؟

كما يفعل كل المرفوضين.

لم ألاحظ إنك مرفوض.

لا.. ولكن سأتركك لتتغلبى على عاطفتك إلى أن أعود، وسأفعل شيئاً

بالأمر عندها.

أو إنك سترفض ثانية.

وساد صمت صغير.

صحيح.. لديك بعض الحق هنا. عزيزتى جوانا.. لم أكن مهتماً كثيراً بك

أو لطيفاً معك. وهذا غير عادل لأنك لطيفة ورقيقة. وعذرى الوحيد أننى غرت

من كل الناس من حــولك.. آل بدفــورد والطفلين، وحتى كل الأطفال. كانوا

جـمـيـعاً كـالجدران التى لم أستطـع تجاوزها.. لقد عرفتهم طوال حياتك وأنت

تحـبـينهم، ولا مكان عندك لأى شـخص جـديد، ولذا أصبحت شريراً. وهذه عادة

سيئة عندما لا أحصل على ما أريد.

هذا أمر طفولى.

وأمسك بيدها، وطبع قبلة عليها، وقال:

كـثـيـر الطفـولة. لذا بما أنك طـيـبـة مع الأطفـال، فبإمكانك التعامل معى أفضل

من معظم النساء، ألا تظنين هذا؟

وسحبت يدها وهى ترتجف.

ولكنك لا تظن أننى طيبة مع الأطفال.. وكنت مغالياً بهذا الموضوع.

مجرد حسد.. فلى طبع سيئ جداً.

ولسان شرير.

أعترف بهذا.

كما أن لك هواية لا تحتمل بالقفز إلى استنتاجات خاطئة. كذلك

تتحدث بكثرة ولا تترك أحد يأخذ دوراً فى الكلام.

ولكننى لم ألاحظ أنك تحاولين أخذ دورك فى الكلام أنت عادة تتهربين

عندما أحاول الكلام.

كما إنك لا تعرف ماذا يجرى تحت أنفك. فلقد طلبنى آرثر للزواج منذ

أسبوع.

آه.. فهمت.

وتابعت بلطف:

إنه جزء من حياتى منذ فترة طويلة، ومكانه ثابت فى ذهنى كالرجل

الوحيد الذى قد أحب.. واكتشفت فجأة أننى لم أعد أحبه.

وهل تحبين الازدواجية؟

لا يمكن أن أقول هذا.

لماذا إذن رفضتيه؟

لقد أحببته.. ولكن بطريقة خاطئة.

وما هى؟

فضحكت:

براين تورنيول.. أنت رجل شرير وخبيث.. أعتقد أننى لم أحبه بالطريقة

التى أحببتك بها.

رده لم يكن كلاماً.. بل كان رداً مطولاً ومرطباً، وبعد وقت لاحق.

عندما كانت تجلس بقربه على السجادة، وأصابعها متلفة على أصابعه، ورأسها على

كتفه، أخذ يملس شعرها برقة عن وجهه ويتمتم:

وهل تتزوجينى بعد كل هذا؟

فأدارت رأسها لتنظر إلى عينيه.. وكان يبتسم.. فوجدت أنها تعرف وجهه وكأنه

وجهها.. القساوة، الحزن، القلق، السخرية. والحنان الذى كان جديداً عليها ويقطع

أنفاسها. فتنهدت بسعادة وردت عليه:

أجل.. عندما تطلب هذا منى.